جامعة سعد دحلب بالبليدة

كلية الآداب و العلوم الإجتماعية

قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة ماجستير

التخصص: لغوي

الانسجام الصوتي في بنية مفردة اللسان العربي
و اثر ه في الاقتصاد اللغوي

من طرف

كمال بخوش

أمام اللجنة المشكلة من:

د ع العزيز محي الدين	أستاذ محاضر ،جامعة البليدة	رئيسا
د عمار ساسي	أستاذ ت العالي ، جامعة البليدة	مشرفا و مقررا
د م العيد رتيمة	أستاذ ت العالي جامعة الجزائر	عضوا مناقشا
د محمد الحباس	أستاذ محاضر، جامعة الجزائر	عضوا مناقشا
د مخلوف بن لعلام	أستاذ مكلف بالدروس، جامعة البليدة	عضوا مناقشا

البليدة، فيفري 2004

ملخص

إن الأصوات اللغوية في التقائها بالتجاور في البنية المفردة لا تقبل في كل مرة جميع حالات التأليف و التجاور مع بعضها بحسب الشكل الذي يقتضيه الوضع اللغوي بل تهدف في أحيان كثيرة إلى البحث عن تحصيل التشاكل و التماثل فيما بينها و إلى البحث استفرارها في التأليف بهدف خلق بنية صوتية منسجمة تكون اسهل"في الأداء من البنية التي يقتضيها الوضع اللغوي

فالتاليف بين وحدات البنية المفردة يخضع لمنطق خاص و على نحو من النوعية هذا المنطق ناشئ اساسا من الخصائص الذاتية لها و التي تحدد شكل وهيئة التقائها في البنيـ ة المفردة دوما ، فما وافق هذا المنطق فهو مستساغ يسير الأداء و ما خالفه قد يخضع لعمليات تعديلية تفك هذا الإستعصاء .

فنظام التعديلات الذي يمتلكه اللسان العربي بغية تسهيل الأداء من خلال ضبط بنية اللفظة المفردة صوتيا هو الذي يجعل من الممارسة اللغوية ممارسة اقتصادية.

و هذا المبدأ يعتبر مبدا هاما لديمومة اللغة و استمراريتها و اداء وضيفتها الإبلاغية على احسن وجه .

شكر

أتقدم بالشكر الخالص ، بداية إلى استاذي المحترم الدكتور عمار ساسي على تفضله بالإشراف على هذا البحث و على مده يد العون و المساعدة و الأخذ بيدي كلما كنت في حاجة إلى ذلك

كما اتقدم إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها ، أخص منهم بالذكر ؛ الأستاذين الفاضلين : محمد الحباس و مخلوف بن لعلام ، بقسم الماجستير .

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى الأخت الفاضلة : نعيمة ، على سهرها و اهتمامها البالغ في إخراج هذا البحث .

الفهرس

ملخص.....

شكر.....

الفهرس .....

فهرس الجداول و الرسوم التوضيحية .....

مقدمة 06

تمهيد حول مصطلح الإنسجام.....11

1. الاقتصاد اللغوي 14

1.1. الاقتصاد في الأصوات.....15
2.1. الاقتصاد في الصيغ 16
3.1. الافتصاد في التراكيب..... 25

2. مفاهيم صوتية..... 28

1.2. الجهاز الصوتي.....28
2.2. مخارج و صفات حروف العربي.....31

1.2.2. مخارج حروف العربية.....31
2.2.2. صفات حروف العربية..... 38
1.2.2.2. الصفات العامة.....38
2.2.2.2. الصفات الخاصة.....45.

3. الانسجام بين حروف المباني.....48.

1.3. التفريب الصوتي.....48

1.1.3. مفهومه..... 49
2.1.3. سبب حدوث التفريب 51
3.1.3. انوع التقريب..... 51
4.1.3. آلية التقريب..... 52
5.1.3. أقسام التقريب..... 52
1.5.1.3. التقريب التماثلي.....53
2.5.1.3. التفريب التجانسي.....59

2.3. التبعيد الصوتي.....65

1.2.3.مفهومه..... 65
2.2.3. التبعيد في حروف العلة.....66
3.2.3. التبعيد في الحروف الصحيحة 69

4. أثر الحركات في البناء الصوتي.....73

1.4. مفاهيم..... 74
2.4. التقريب بين الحركات..... 75

1.2.4. التقارب الحركي عن طريق الإنزلاق.....75
2.2.4. التقارب الحركي عن طريق الإبدال..... 81

3.4. التبعيد بين الحركات.....83

1.3.4. التبعيد بالإبدال.....83
2.3.4. التبعيد بالحذف 83

4.4. التناسب الصوتي بين الحركات و حروف المباني..... 84

1.4.4. بين الحركات و خروف العلة.....84
2.4.4. بين الحركات و الحروف الصحيحة.....91

الخاتمة..... 97

قائمة المراجع..... 99

فهرس الجداول و الرسوم التوضيحية

شكل 1. رسم يوضح حركية الإنتقال قي الكلمة العربية 20

شكل 2 . رسم يوضح آلية الإقتصاد الذهني في الصيغ.....23

شكل 3 رسم تخطيطي لمخارج حروف العربية.....37

شكل 4.محطط يحدد مسنويات الجهر، الهمس ، الشسدة ، الرخاوة في الجهاز الصوتي ..44

شكل 5. رسم تخطيطي يلخص اشكال التقريب الصوتي.....63

شكل 6. رسم تخطيطي يوضح آليتي التقريب و التبعيد الصوتيتين.....71

شكل 7. شكل يوضح آلية الإنسجام بين الحركات و حروف العلة.....88

مقدمة

أولا: تعتبر اللغة أهم مظهر من مظاهر السلوك الإنساني ، لذا فإنها كانت وما زالت من أهم الموضوعات التي جلبت اهتمام الدارسين عبر الزمن . سواء أتعلق الأمر بالبحث عن أصلها ومصدرها الأول، أو البحث في جانبيها الاجتماعي والنفسي، أم البحث في جوهرها في حد ذاته، محاولين استجلاء أسرار بنيتها وكشف نظامها الداخلي . أكان هذا في جانبها الصوتي أم في جانبها الإفرادي (الصرفي) ، أم في جانبها التركيبي (النحوي). وهذا بغية التوصل إلى أسهل أشكالها وأيسر سبلها في الاتصال والتواصل وإبراز الأفكار والمواهب .

ثانيا: اللغة أصوات [01] ،فهي تعتبر الوحدات الأساسية المكونة لها و المادة الخام التي تبنى منها الكلمات ، عن طريق تجمعها التسلسلي وفق منطق معين وخاص جدا (نظام). وعلى هذا فإنّ أي دراسة تفصيلية للغة ما ، تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الصوتية ، أو لعناصرها التكوينية ، للكشف عن خصوصية البناء الداخلي ومنطقه . وربما كان أكثر فروع الدراسة اللغوية حاجة إلى التحليل الصوتي هو الصرف . فجل التغيرات التي تحدث في البنية المفردة ، من إبدال وإدغام وإعلال ، وإمالة ...إلخ . قائمة على علل صوتية توجبها ، وتتحكم في توجيهها وضبطها في الوقت نفسه .

ثالثا: بما أنّ اللغة لا يمكن استعمالها إلا غائيا . أي بوصفها وسيلة لغاية معينة – وهي التواصل – فإنّ كل لغة يمكن أن تقوّم بالنظر إلى مزاياها ، في إنجاز هذه الغايات بصورة أكثر اقتصادية [02]

إنّ الأصوات اللغوية في تجاورها في البنية المفردة ، لا تقبل في كل مرة جميع حالات التأليف والتجاور فيما بينها بحسب الشكل الذي يقتضيه الوضع اللغوي . بل تهدف في أحيان كثيرة إلى تحصيل التشاكل والتماثل ، بتفاعلها وفق آليات محددة ، بهدف تحقيق بنية صوتية منسجمة، تكون أسهل أداء من البنية التي يقتضيها الوضع اللغوي ، ودون تغيير في الدلالة .

انطلاقا من المقدمات الأربع المذكورة سابقا، آثرنا الوقوف في هذا البحث عند الانسجام الصوتي في البنية المفردة ، الناتج عن تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في سياقات وأحوال تركيبية خاصة، وأثر هذا في عملية الاقتصاد اللغوي التي تعتبر في غاية الأهمية ، خاصة إذا تعلق الأمر بمدى حيوية اللغة في الاستعمال ومدى بقائها وتطورها . لأن جل التغيرات الصرفية التي تحدث في البنية المفردة ، لا يمكن تبريرها إلاّ بعلل صوتية . وهذه الأخيرة لا تكون إلاّ بدوافع وأهداف اقتصادية .

وانطلاقا من هذا كان اختيارنا لعنو ان الموضوع : **الانسجام الصوتي في بنية مفردة اللسان العربي وأثره في الاقتصاد اللغوي** .

إنّ ما يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان لا يمكن ضبطه بسهولة ضبطا كليا ودقيقا ، وهذا راجع لأسباب عدة :

1/ لا يمكن الإحاطة بجميع الأمثلة الممكنة في اللغة العربية لكثرتها وتشعبها من جهة ، ومن جهة أخرى لعدم اطرّادها في جميع المصادر التي جعلناها منطلقا لبحثنا هذا . ومن ثم ، فإن جميع الاستنتاجات تكون نسبية بحسب نسبية عملية استقراء الأمثلة .

2/ عدم عثورنا على أبحاث كاملة تنظر إلى المادة المدروسة نظرة اقتصادية ، بل جل الأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع تنظر إلى المادة المدروسة نظرة صرفية صوتية ، باستثناء ما نجده من شذرات متناثرة هنا وهناك عند اللغويين القدماء والموسومة عندهم بـــ التخفيف(lénition).

3/ الإطار الزماني للبحث، الذي لا يسمح باستقراء جميع المصادر استقراء علميا دقيقا وشاملا . ومنه كان لزاما علينا التركيز على رصد الأسس العلمية التي تقوم عليها الظواهر المدروسة في إطار كلي .لأنّ حصر جميع الأمثلة المنطوية تحت ظاهرة ما، ليس هدفنا الأول .

4/ صعوبة رصد المادة العلمية التي تخصنا في البحث عند الدارسين القدماء أو المحدثين ، ومن ثم تصنيفها على النحو الذي يقتضيه الموضوع . ولذلك – وبغية تسهيل منهج العمل – حاولنا بناء البحث على المنطلق الآتي :

بما أنّ الوحدات الصوتية التي تشكل البنية المفردة تكون إما حروفا صوامت (consonnes) وإما حركات صوائت (voyelles)والتأليف بين هذين النوعين من وحد ات البناء في البنية المفردة ، يُنْتِجُ ثلاثة أشكال من التأليف .

الشكل الأول يكون بين الحروف الصوامت أنفسها (أي بين حرف صامت وحرف آخر مثله) . والثاني بين الحركات أنفسها (أي بين حركة وحركة) . والثالث يكون بين حرف صامت وحركة وفي حصرنا لدراسة هذه الأشك ال قسمناها إلى قسمين : القسم الأول ويضم الشكل الأول فقط وسميناه : << الانسجام بين حروف المباني >>

أما القسم الثاني فيضم الشكل الثاني والثالث ، و سميناه : << أثر الحركات في البناء الصوتي >>

وبناء على هذا التصور المنهجي لمعالجة مادة البحث ، كان هيكل البحث مكونا من : مقدمة، وتمهيد حول مصطلح الانسجام، وأربعة فصول ، وخاتمة .

فالمقدمة : تعتبر بمثابة باب الولوج إلى صلب البحث ، بإعطاء فكرة عن دوافعه ومضمونه ومنهجه العام والخاص والصعوبات التي واجهتنا فيه .

أما في التمهيد :**حول مصطلح الانسجام**، فقد حاولت ضبطه وتأ صيله، وتحديد فهمه عندي ، مبرزا في الوقت نفسه أنّ الانسجام لا يقتصر على أن يكون بين أصوات البنية المفردة ، بل هو منطق شائع في مختلف المظاهر الكونية والطبيعية وفي مختلف العلاقات الانسانية والاجتماعية.

أما الفصل الأول : وعنوانهالاقتصاد اللغوي، فقد كان فيه التركيز على بعض الجوانب الاقتصادية للّغة في المستويات الثلاث : مستوى الأصوات، مستوى الصيغ، ومستوى التراكيب مع التركيز على مظاهر الاقتصاد في كل مستوى منها.

أما الفصل الثاني : والذي يعتبر كمقدمة ضرورية للفصلين الثالث والرابع ، والذي كان عبارة عن مصطلحات و مفاهيم في الأصوات اللغوية ، فقد تطرقنا فيه إلى الجهاز الصوتي عند الإنسان ، والأعضاء المكونة له ، لتسهيل التكلم فيما بعد عن مخارج وصفات حروف العربية ، والتي كانت في القسم الثاني من هذا الفصل . منطلقا في ذلك من سيبويه باعتبارأن جل الدراسات التي أتت بعده اعتمدت منهجه وتصنيفه للأصوات في دراستها.

أما الفصل الثالث : وعنوانه: الانسجام بين حروف المباني (دراسة لظاهرتي التقريب والتبعيد الصوتيتين) . فقد عالجنا فيه هاتين الظاهرتين ، متطرقين إلى أسبابها، وعللها، وكذلك تحديد آلياتها في كل قسم من أقسامها .

أما الفصل الرابع : فكان عنوانه: أثر الحركات في الانسجام الصوتي (دراسة للعلاقة الصوتية بين الحركات أنفسها ، وبينها وبين الحروف الصوامت) ، وقد انقسم هذا الفصل بدوره إلى أربعة أقسام : فالقسم الأول كان عبارة عن تحديد المفاهيم الواردة في الفصل ، والقسم الثاني تطرقنا فيه إلى ظاهرة التقريب بين الحركات ، والقسم الثالث تطرقنا فيه إلى ظاهرة التبعيد بين الحركات ، أما القسم الرابع والأخير فبحثنا فيه التناسب الصوتي بين الحركات وحروف المباني .

الخاتمة : وجاء فيها أهم ما استطعنا التوصل إليه من نتائج ، و كانت عبارة عن خلاصة عامة للموضوع .

كما ذيلنا بحثنا بفهرس يضم أهم المصطلحات الواردة في هذا البحث وما يقابلها باللغة الفرنسية، وكذا فهرس المصادر والمراجع المستعملة في البحث . وأخيرا فهرس موضوعات البحث

وقد اعتمدنا في هذا البحثالمنهج الوصفي الوظيفي الذي يقوم على وصف البنية اللغ وية ورصد أشكالها وما يطرأ عليها من تَغَيُّر، وعلى إبانة وظيفتها الإبلاغية التي كانت أساسا لأجلها . محاولين الالتزام في تطبيقه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . لأنّ الخطأ المنهجي في البحث لا يمكن تداركه إلا بإلغاء البحث كليا .

وإذا كانت معالجة أفكار البحث وقضاياه تتم وفق رؤية علمية محددة مسبقا ، يتبناها الباحث منذ الوهلة الأولى في عمله، فإنّ بناءه لا يتم إلا وفق منهج يقتضيه البحث ذاته ، دون تدخل الباحث. لذا فإن نمو الأفكار وتطورها، و تموضعها في البحث كان بحسب ما يستدعيه البحث . وهو مبرر تقديم الأفكار مرة ، وتأخيرها مرة أخرى . وتأجيلها مرة ثالثة

وقد قام بحثنا على أساس تراثي، منطلقين دوما من المؤلفات القديمة (الأصلية) في رصد المادة المعرفية ، ومحاولة فهمها على ضوء علم اللغة الحديث، فكانت المادة العلمية التراثية بمثابة المدونة التي انطلقنا منها، لذا فإن منهج القرا ءة قد جرينا فيه على اعتماد التسلسل الزمني قدر الممكن ، بدءا باللغويين القدماء ، و وصولا إلى المتأخرين ومن ثم المحدثين حتى نتمكن من تتبع

الظاهرة اللغوية والتحكم فيها عبر الزمن، من خلال مختلف الدراسات التي تعرضت لها ، وخاصة من ناحية ضبطنا للمصطلح في كل مرة .

أما بالنسبة لتوظيف المصادر والمراجع ، فإننا اعتمدنا على مجموعة من المصادر ، وآثرنا أن تكون متلاحقة زمنيا، حتى نتمكن من الإحاطة بالموضوع في أزمنة متباينة، وكانت كالتالي : << الكتاب >> لسيبويه . << الخصائص >> ، و<< سر صناعة الإعراب >> لابن جني . << شرح المفصل >> لابن يعيش . بالإضافة إلى مصادر أخرى كان استعمالها مضطربا لعدم حاجتنا إليها في كل مرة . كـــ: " مفتاح العلوم" للسكاكي. و"النشر في القراءات العشر " لابن الجزري.أما فيما يخص استعمال مراجع المحدثين ، فنظرا لتكرار المادة عند أكثرهم ، وتداخل المباحث المتعلقة بالموضوع ، وكذا تعدد المصطلحات ذات الدلالة الواحدة ، فإننا انتقينا مجموعة منها دون كلها ، تفاديا للخلط في الموضوع . وكان أهمها :<< القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث >> لعبد الصابور شاهين ، << المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي >> للدكتور رمضان عبد التواب . << الأصوات اللغوية >> لإبراهيم أنيس...إلخ وغيرهم من المراجع التي أشرنا إليها في فهرس المصادر والمراجع .

وفي الأخير لا أدعي أني بلغت كل ما سعيت إليه . أو أتيت بالجديد في هذا البحث المتواضع. بقدر ما أعتبره محاولة تعلم قراءة ما جاد به أهل العلم بصفة عامة، وما خص ميدان بحثنا بصفة خاص ولهم في هذا كل الفضل . آملا أن يكون مواطىء قدمي الأولى موطئا سليما وموفقا في بداية رحلتي.

متقدما في الأخير، بآيات الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور عمار ساسي، على تفضله أولا بالاشراف على هذا البحث ، وعلى اهتما مه ثانيا برعايته بكل ما قدم من نصائح وتوجيهات كانت لنا نبراس العمل وسراج الطريق وحسبي من كل هذا أجر الاجتهاد والكمال لله في كل أمره ... أسألك ربي التوفيق.

البليدة في : 17 ربيع الأول 1425هـــ

الموافق لـــ 07 ماي 2004م

تمهيد حول مصطلح الانسجام

الانسجام :<< مادة (س ، ج ، م). في الكلام خلوه من التعقيد وبعده عن التكلف وسهولة تركيبه وسهولة ألفاظه>> [03] .

<< والانسجام في اللغة يكون بتآلف اللفظ وتآخيه صوتيا ودلاليا مع اللفظ السابق له أو اللاحق عليه . فبحسن تموقعه وبعلاقته ببقية الألفاظ تحسن ديباجة الكلام ، ويكون ذا طلاوة وحسن وعذوبة>> [04] . وهو ما يؤهل اللغة لتكون أكثر حيوية وانسيابية ودورانا على اللسان ومنه تحقق غايتها بكل يسر .

وهو مظهر يتجلى في شتى المجالات ، بل إنه شرط أساسي لمختلف الكائنات للاستقرار والتآلف مع ما يحيط بها، على نحو معين وخاص . سواء أكان من الجانب المادي أو من الجانب المعنوي . ففي الأوساط المادية مثلا، تلاحظ أن الحار والبارد يلتقيان فيتمازجان ويصيران إلى وسط بين هذا وبين ذاك، فيكون مزيجا يميل إلى الاعتدال بأخذه من كلا الوسطين . وكذلك نجد المواد المتفاوتة الكثافة يمتزج بعضها ببعض ، فإذا هي مادة تختصر الفوارق وتوحد القوام . كما نجد مثلا أسماك المياه المالحة تنسجم مع الوسط المائي المالح وتعيش فيه ، في حين يتعذر عليها ذلك في الوسط المائي العذب الملائم لنوع آخر من الأسماك و نفس الأمر في مختلف السلوكات الإنسانية وفي بناء المجتمعات المتجانسة . فالإنسان بطبعه الاجتماعي ميال إلى التفاهم والوفاق مع غيره من الأشخاص الذين يعيشون معه في نفس البيئة ، من خلال التأثر بهم والتأثير فيهم . فيتصف في كثير من الأحيان بصفاتهم ، ويكتسب طبائعهم ، والعكس صحيح . وهو ما ينتج مجتمعا منسجما متسقا في أفكاره ونزعاته وتوجهاته .

والمستوى الصوتي في اللغة، يعتبر من أهم المستويات التي يشترط أن يكون فيها انسجام ، لأنه يتعلق بالأداء مباشرة . وبخلاف هذا ، فقد يكون الأداء ثقيلا جدا ، بل قد يتعذر في أحيان كثيرة . ومثل هذا قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

فتركيب الألفاظ على هذه الشاكلة في هذا البيت، أدى إلى تنافره وثقل ترديده، نتيجة تقارب ألفاظه [05] الإضافة إلى تواتر لفظة قبر أو ما شاكلها صوتيا : (قفر ، قرب) بشكل كبير نسبيا في بيت واحد .

وكما أنّ الانسجام الصوتي يكون ضروريا في مستوى التركيب، فإنه يكون كذلك وبنفس الأهمية في اللفظة المفردة ، بتراكب حروفها وحركاتها بشكل متسق منسجم، وبهندسة صوتية قائمة على التناسب فيما بينها فتآلف الحروف صوتيا في البنية المفردة شيء ضروري في الأداء ، للحفاظ عليها وبقائها . لأن تنافر الحروف كثيرا ما يجعل الكلمة متناهية في الثقل على اللسان ، فيعسر النطق بها ومثل هذا ما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته فقال تركتها ترعى " الهعْخع" [06] . فصعوبة أداء اللفظة المفردة ، قد يدفع بها إلى الانحراف عن الأداء الفصيح لها << ذلك أنّ الفصاحة في المفرد تكون بخلوه من تنافر الحروف >> [06] .وقد يؤدي بها إلى أمر من الأمرين : إما دخولها في طي الإهمال وركونها إلى القواميس اللغوية واعتزال عالم الحياة اللغوية ، وإما أن تخضع لعمليات جراحية تجميلية، تسمح لها بالبقاء في هذا العالم << بصقل يشذب عقدها، ويسهل انزلاق الأصوات فيها ويحقق للفظها الانسياب والسلاسة>> [07] .

فلكل كلمة عربية مكتوبة كانت أم منطوقة ، مشتقا كانت أم مصدرا ، مجموعة من الأحرف وبين هذه الأحرف التي تتألف منها ، لا بد أن يتوفر انسجام ، يؤدي الإخلال به إلى تغيرات صوتية صرفية، والتي ينتظر منها أن تعيد هذا الانسجام [08] .داخل الكلمة فتصبح مستساغة ، يسيرة النطق ، سهلة الأداء ، يجري بها اللسان في رفق .

ولهذا فالأصوات اللغوية يتأثر بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء بلغته نطقا طبيعيا لا تكلف فيه نلحظ أن أصوا ت الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر إلاّ أنّ نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر . فمنها ما هو سريع التأثر ويندمج في غيره أكثر مما يطرأ على سواه من الأصوات [09] . وهذا ما يمكن أن نسميَّهُ بالتفاعل الصوتي في المستوى الخطي الذي يؤدي إلى استقرار الأصـ وات خطيا عند الأداء . بتقاربها في الصفات ، أو في المخارج ، أو الصفات والمخارج معا .

فحين يجتمع في الكلمة الواحدة صوتان، يتصف كل منهما بصفة تناقض الآخر كالجهر والهمس، أو الإطباق والانفتاح ، وكان في تحقيق الصفتين المتناقضتين للصوتين المتجاورين مشقة وعسر، يميل المتكلم إلى خلع صفة أحدهما على الآخر توفيرا للجهد وتحقيقا للانسجام [10] . كقولنا

يزدل في: يسدل. حيث تجاور السين وهو حرف مهموس، مع الدال وهو حرف مجهور ، والجهر والهمس صفتان متناقضتان، فجهر بالسين، فتحولت إلى حرف الزاي الذي يماثل الدال في الجهر . وهي تغيرات صوتية تعتبر مطلبا مهما من مطالب السياق .

التغيرات الصوتية

<<هي التبدلات التي تقع في بنية الكلمة بين حروفها . والمقصود بالتبدل هنا هو التبدل غير الوظائفي>> [08] . وبصيغة أخرى هي التغيرات اللفظية التي لا تؤدي إلى تغيير المعنى على نحو قلب الواو ألفا في : قال . فأصلها : قَوَل . أو حذف واو مفعول في : مقول . فأصلها مَقْوُول أو إبدال الطاء من التاء في : اضطرب فأصلها اضترب .

فالتغير الصوتي الذي أدى هنا إلى الخروج عن الأصل ، علته لفظية وليست معنوية أيْ : أنه لا يؤدي إلى تغيير المعنى الذي يدل عليه أصل اللفظ .

والتغيرات الصوتية في العربية نوعان : تغيرات غير مشروطة ، وتغيرات مشروطة مطَّردَة .

التغيرات غير المشروطة : هي تلك التغيرات التي تحدث خلال التطور اللغوي دون اطرادها بين أفراد البيئة اللغوية الواحدة . وتسمى كذلك بالتغيرات اللهجية ، الناتجة عن عدة عوامل اجتماعية ،وبيئية ،وجغرافية ...إلخ.وتكون عارضة غير ناتجة عن السياق اللغوي . وتسمى كذلك بالتغيرات التاريخية>> [11] .

التغيرات المشروطة: النوع من التغيرات يحدده السياق اللغوي .وتصيب هذه التغيرات الأصوات من ناحية الصلة التي تربط الصوت بالآخر في الكلمة المفردة [11] . ويسمى هذا النوع بالتغيرات التركيبية [10] .وهي لا شعورية في الغالب يأتيها المتكلم منساقا بعاداته النطقية.

فالتعديلات التي تلحق البنية المفردة والتي تخرجها عن أصلها اللغوي هدفها الأول تحقيق بنية صوتية منسجمة . تجنباً لصعوبة الأداء واقتصاد في الجهد المبذول

الفصل 01
الإقتصاد اللغوي

قصللقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير . والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر ، يقال فلان مقتصد في النفقة (..و)اقتصد فلان في أمره أي : السقام>> [12] .

فالاقتصاد " économie " توسط واعتدال في التصرف، ويتجلى هذا في حياتنا اليومية في مظاهر عدة زراعية، وصناعية، وتجارية، وإدراية ...إلخ. كما يظهر في الميادين الفكرية، والعلمية، وفي مختلف التوجهات المعرفية . << بل إنّ العلم والمعرفة في حد ذاتهما اقتصاد في ، والعمل، واختزال للجهد والنشاط في مختلف ميادين الحياة>> [7] .

واللغة باعتبارها نشاطا طبيعيا كباقي الأنشطة الأخرى، لا يمكن أن تكون بمنأى عن المبدأ الاقتصادي principe d'économie، الذي يسمح لها باستعاب جميع الأفكار، والإحاطة بجميع الظواهر الكونية ، عن طريق تكثيفها في رموز ومختصرات، بفضل خصوصيات نظامها الداخلي .

والإنسان بفطرته ميال إلى الاقتصاد في اللغة، بمحاولته تحقيق أكبر مردود بأقل مجهود . لذا فإنه يتعمد الإكثار من الاقتصاد في لغة التخاطب اليومي، أكثر من كلامه في المناسبات الخاصة كقول الشعر والخطابة وغيرهما من المواقف، التي تقتضي الانقباض والتحرز. فكلما كان المقام مقام أنس، كان المتكلم إلى حذف ما هو في غنى عنه لإبلاغ مراوأكثرارتياحا . وهذا هو بالذات ما يمنح اللغة حيويتها . فكانت الفصحى التي دونها اللغويون العرب القدماء تتصف بهذه الصوأكبر دليل على ذلك ما سجلوه من العبارات المختصرة ذوات العناصر المضمرة ، وأكثرهُ ما ورد في كتاب سيبويه وكتب القراءات، من شواهد الاختزال ، والتسكين، والتخفيف للهمزة وحذفها، والإدغام ، والإبدال، والحذف [13] . معللين ذلك دوما بالتخفيف في الأداء.

والاقتصاد اللغوي يكون في جانبين فالجانب الأول يكون في التواصل ونقل المعلومات : بميلنا إلى الاختصار في نقل الخبر قدر الإمكان، دون تنقيص في الدلالة أو الإخلال بالمضمون . أما

الجانب الثاني ، فيتعلق بالجانب الشكلي للغة إذ ننزع دائما في كلامنا إلى استعمال اليسير والسهل من اللفظ . بل ونسعى في أحيان كثيرة إلى التيسير والتسهيل في المستعمل.

ولأنّ الاقتصاد في النظام اللغوي هو نتيجة للحاجة إلى الاقتصاد في الكلام فإننا نحاول رصد مظاهره في العربية من خلال تتبعنا له في مستوى الكلام "parole". و هذا في مستويات الدراسة الثلاثة : مستوى الأصوات ، مستوى الصيغ ، مستوى التراكيب.

1.1.الاقتصاد في الأصوات

من الخصائص اللافتة للانتباه في اللغات الإنسانية عامة ، وفي اللغة العربية خاصة، أن عناصر نظامها الصوتي، système phonatoire يختلف ترددها في الاستعمال بشكل متفاوت كثيرا [02] .وقد ذكر جلال الدين السيوطي أنّ أكثر الحروف استعمالا من النظام الصوتي العربي، هي أسهل الحروف فيه، وهي <<الواو، والياء ، والهمزة . وأقل ما يستعملون على ألسنتهم من الحروف لثقلها: الظاء ثم الذال، ثم الثاء، ثم الشين، ثم القاف، ثم الخاء ، ثم العين ، ثم النون، ثم اللام، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم وأخف هذه الحروف كلها، ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد >> [06] .

وفي إحصائيات لجذور معجم لسان العرب، ظهر أن النسبة العالية لتردد الأصوات هي : الحروف الذلقية مخرجا :اللام والنون والراء . والذلقية صفة:الفاء، والباء والميم . وهي حروف يسيرة النطق شديدة الإبلاغ ، تساهم في تخفيف الجهد الأدائي [07] .

كما تبين من إحصائيات عديدة ، وجود تلازم عكسي بين درجة صعوبة أداء الحرف، وبين تردده في الاستعمال اللغوي usage linguistique، على اعتبار أن الحرف مجموعة من أشكال النشاط في أعضاء التصويت المختلفة [05]بل أكثر من هذا ، فإن العرب تلجأ في أحيان كثيرة إلى استبدال الحروف الصعبة الأداء بالسهلة منها .<< قال ابن فارس في : (فقه اللغة) حدثني علي بن أحمد الصاحبي . قال:سمعت ابن دريد يقول : هناك حروف لا تتكلم العرب بها إلاّ لضرورة . فإن اضطروا إليها ، حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها>>

وجنوح الإنسان إلى استعمال الأصوات السهلة الأداء ، أكثر من استعماله الصعبة منها، لا يقتصر على الحروف الصوامت (consonnes). بل يكون كذلك في الصوائت، أو الحركات (

voyelles) فلقد قام العالم اللغوي هنري فليش، بدراسة إحصائية لنسبة ورود كل حركة من الحركات العربية القصيرة : الفتحة ، والكسرة، والضمة، في القرآن الكريم . فوجد أن الفتحة أكثر ورودا من الكسرة والضمة ، أي بنسبة تقارب : 54.4% [14] .وهذا لأن الفتحة أخف الحركات وأسهلها أداء من الكسرة والضمة . فهي تعتبر بمنزلة النفس أو الهواء الصادر من الرئتين.

وعليه فإن الاقتصاد في الأصوات، يكون بإستعمالنا الأسهل والأخف منها، أكثر من غيره في نفس النظام الصوتي وهذا ما يفضي طابع السهولة والليونة على الكلام . ويجعله بسيط التناول ، وأكثر مرونة في دورانه على اللسان.

2.1.الاقتصاد في الصيّغ

في النزوع الدائم للعربية إلى تحقيق الاقتصاد اللغوي في الكلمة المفردة من الجانب الصوتي لم تجز في الاستعمال كل الصيغ اللفظية الممكنة. بل اقتصرت على قدر منها فقط.

وفي تأدية تلك الصيغ اللفظية المختارة والواقعة في قوالب لفظية مخصوصة، اعترض العربيَّ صعوباتُ صوتية تناقض النزوع الاقتصادي للُّغة. لما تشكله من ثقل في الأداء ، أو تعذر، أو امتناع [07] .إذْ في بناء تلك الألفاظ ، يحدث وأن تلتقي حروف تتنافر وأخرى تتآلف، مما قد ينتج عنه تدافع وتطاحن صوتي بين الحروف التي لا تألف المجاورة فيما بينها .وتفاديا لهذه المشكلات الصوتية ، كانت ظواهر الإعلال ، والإبدال ، والإدغام، في الكلمة العربية . هروبا من تداخل مخارج الحروف المشكلة لبنيتها . وكل هذا بهدف الانسجام الصوتي فيها، ومن ثم تقليل الجهد في أدائها بالابتعاد عن الصعوبات العضوية الناتجة من عدم تجانس الحروف المتجاورة .

<< لذا فواضع اللغة – إنكانت اللغة مواضعة - تجنب في الأكثر الكلمات التي يثقل على الناطق التلفظ بها، كتلك التي يكون فيها الجمع بين حروف متقاربة المخارج ، كما أن واضع اللغة نفسه سجل استثقال بعض السياقات النطقية، التي تجتمع فيها المخارج المتنافرة والتي تتضاد فيها الصفات>> [13] . مما يشير لنا، أن أكثر الصيغ أو القوالب اللفظية التي يمكن أن يسمح بها الوضع اللغوي coude linguistique تهمل لعدم إمكانية تحقيقها في الاستعمال، فليس كل ما يجيزه النظام اللغوي من الصيغ يستعمل .

1.2.1 المستعمل والمهمل من الصيغ

إذا نظرنا إلى عدد الإمكانات اللفظيةالتي يمكن توليدها من النظام الصوتي للغة العربية، وجدناها عددا كبيرا جدا . يصعب على العقل البشري استعابها كلها، ومن ثم توظيفها في الوقت نفسه. لذلك كانت جل الإمكانات اللفظية مهملة.

فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين، أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل منها على مراتبها الأربع، من الثنائي، والثلاثي، والرباعي،

والخماسي، يتجاوز ثلاث مليارات كلمة، جاهزة للاستعمال عند الحاجة العملية إليها>> [07]

فلو استَنفذنا كل طاقات اللغة، بتوليد المفردات التي تحتملها القسمة الرياضية، لكان لدينا من كلماتك للإسم المجرد الثلاثي : 263424 كلمة. والرباعي :29503488. والخماسي: 3304390656. والمجموع: 3334157568 كلمة [07] ، وهي إمكانات كبيرة لانستعمل منه إلاّ القليل، والباقي مهمل. إما لأن العرب لم تقل به، وإما مهمل لعلل صوتية.

يقول ابن جني : <<...وإهمال ما تحتمله قسمة التركيب (الممكن في اللغة من الصيغ، المستعمل والمهمل منها على حد السواء) ، في بعض الأصول المتصورة ، أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال ، والبقية ملحقة به ومقفاة على أثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: سص وطس وهذا واضح لنفور الحس عنه والـ مشقة عن النفس للتكلفة [01] . ويقول ابن فارس : <<والمهمل من الصيغ في العربية على ضربين : ضرب لا يجوز إئتِلاف حروفه في كلام العرب البتتة، وذلك كجيم تؤلف مع الكاف . أو كاف تقدم على جيم، وكعين مع الغين ، أو حاء مع الهاء فهذا وما أشبهه لا يأتلف . والضرب الآخر ما يجوز تألف حروفه ولكن العرب لم تقل به، وذلك كإرادة مريد أن يقول : عضف فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر . ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة: خضع...>> [06] .

وعليه فإن التأليف بين الحروف في البنية المفردة ، يخضع لمنطق خاص وعلى نحو من النوعية ناشىء أساسا من الـ خصائص الذاتية للحروف . هذه الخصوصية هي التي تحدد شكل وهيئة التأليف بين الوحدات الصوتية . فما وافق هذا المنطق من الأبنية فهو مستساغ يسير، ومن ثم

يكثر تداوله. وما كان مخالفا له، يبْعدْ من دائرة الاستعمال اللغوي، لأنه يتعارض والمنطقَ الاقتصاديَّ للغة .

2.2.1 مبدأ التأليف بين حروف البنية المفردة

قال ابن دريد في الجمهرة :<< اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منْها إذا تباعدت . لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق [الألف ، الهمزة ، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء]ون حروف الذلاقة ، كلفته ج رسا واحدا وحركات مختلفة . ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة، والهاء، والحاء،فأمكن . لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منْها>> [15]حو هذا التقاء دال ساكنة بتاء متحركة نحو : مدَدْتُ . يؤدي هذا إلى تجاور حرفين ينشأ عنهما صعوبة في النطق ، تخرجهما عن قو انين وقواعد النظام اللغوي ، الذي يرى – كما ذكرنا- في التقاء المتقاربين احتمال اللبس.

وقد ذهب ابن جني إلى أن التأليف في البنية المفردة ثلاثة أضرب:

- الضرب الأول: تأليف الحروف المتباعدةُ ، وهو أحسنه وهو الأغلب في كلام العرب.
- الضرب الثاني :تأليف الحروف الم تقاربة، بتضعيف الحرف نفسه وهو يلي القسم الأول في الحسن.
- الضرب الثالث : تأليف الحروف المتجاورة،وهو دون الإثنين الأولين، فإما رفض البتة ، وإما قل استعماله [16] . << كما أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد ، في كلمة واحدة ، لصعوبة ذلك على اللسا ان. بخلاف التأليف بين حرفين من جنس واحد نحو قولنا: أح، أهل ، عهد (.شريطة الإبتداء بالحرف الأقوى، وتأخير الحرف الأضعف . نحو قولنا:زل ، وتد فيكون هنا الابتداء بالتاء مع الدال .وبالراء مع اللام >> [15] .لأن الحروف المتقاربة المخارج هي من الائتلاف أبعد . ومن مبادىء التأليف بين الحروف في البنية المفردة ضرورة تضمن الرباعي والخماسي لحرف -على الأقل -من حروف الذلاقة .<< فلا تكاد تجد بناء رباعيا خاليا من حروف الذلاقة، إلاّ بناء يجيئك بالسين نحو : عسجد. لأن السين حرف لين رخو. وكذلك لا يوجد بناء خماسيا، إلاّ ويتركبن حرف أو حرفين من حروف الذلاقة نحو : قَرَزْدَقَ، سَقَرفَلَ.جاءك بناء يخالف هذا فهو ليس من كلام العرب >> [06] .فنظرا لأن الرباعي والخماسي يستغرق وقتا طويلا نسبيا ، في أدائه ، مقارنة بالثنائي والثلاثي، بالإضافة إلى أنه يتطلب جهدا أكبر .فإن العرب استعاذ ت على هذا بأن ضمنته حرفا من حروف الذلاقة

التي تتميز بسهولة أدائها وإخراجها . وهو ما يجعل المفردات الرباعية والخماسية أكثر سهولة في الأداء.

وعليه فإن منطق اللغة شيء، ومنطق الاستعمال شيء آخر، وليس كل ما يقتضيه منطق اللغة يحقق في الاستعمال وإن كان هناك توافق بين الوضعين فليس بالضرورة أن يكون في كل الأحوال.

وقد ثبت أنَّ مستويات حسن تأليف المفردة العربية متفاوتة . وهو ما ينتج عنه تفاوت في الخفة وفي الفصاحة من بين معايير فصاحة اللفظ المفرد عند اللغويين خلوه من تنافر الحروف . وفي هذا الإطار أحصى الشيخ بهاء الد ين صاحب: "عروس الأفراح" اثني عشر تأليفا للكلمة الثلاثية ، محددًا أحسنها خفة وسهولة في الأداء .وكذا أثقلها.وهذا انطلاقا من حركية الانتقال عند نطق الكلمة .فكان ذلك كالآتي:

التركيب الأول: الانتقال من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى مثل:ع د ب.
التركيب الثاني: الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط مثل: ع م د.
التركيب الثالث: الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى مثل : ع م هـ .
التركيب الرابع: الانتقال من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى مثل : ع ل هـ .
التركيب الخامس: الانتقال من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى مثل: م ل ع.
التركيب السادس : الانتقال من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط مثل: ل ع د.
التركيب السابع: الانتقال من الأدنى إلى الأعلى إلى الأسفل (الأدنى) مثل: ف ع م.
التركيب الثامن: الانتقال من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى مثل : ف د م .
التركيب التاسع : الانتقال من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى . مثل : د ع م .
التركيب العاشر : الانتقال من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى مثل : د م ع .
التركيب الحادي عشر : الانتقال من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط مثل : ن ع ل .
التركيب الثاني عشر : الانتقال من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى مثل : ن م ل [06] .

وانطلاقا من كون حركية الانتقال تتم بين المواقع الثلاثة (أقصى ، أوسط ، أدنى) فإننا نحاول تمثيل هذا في المخططات البيانية التالية .

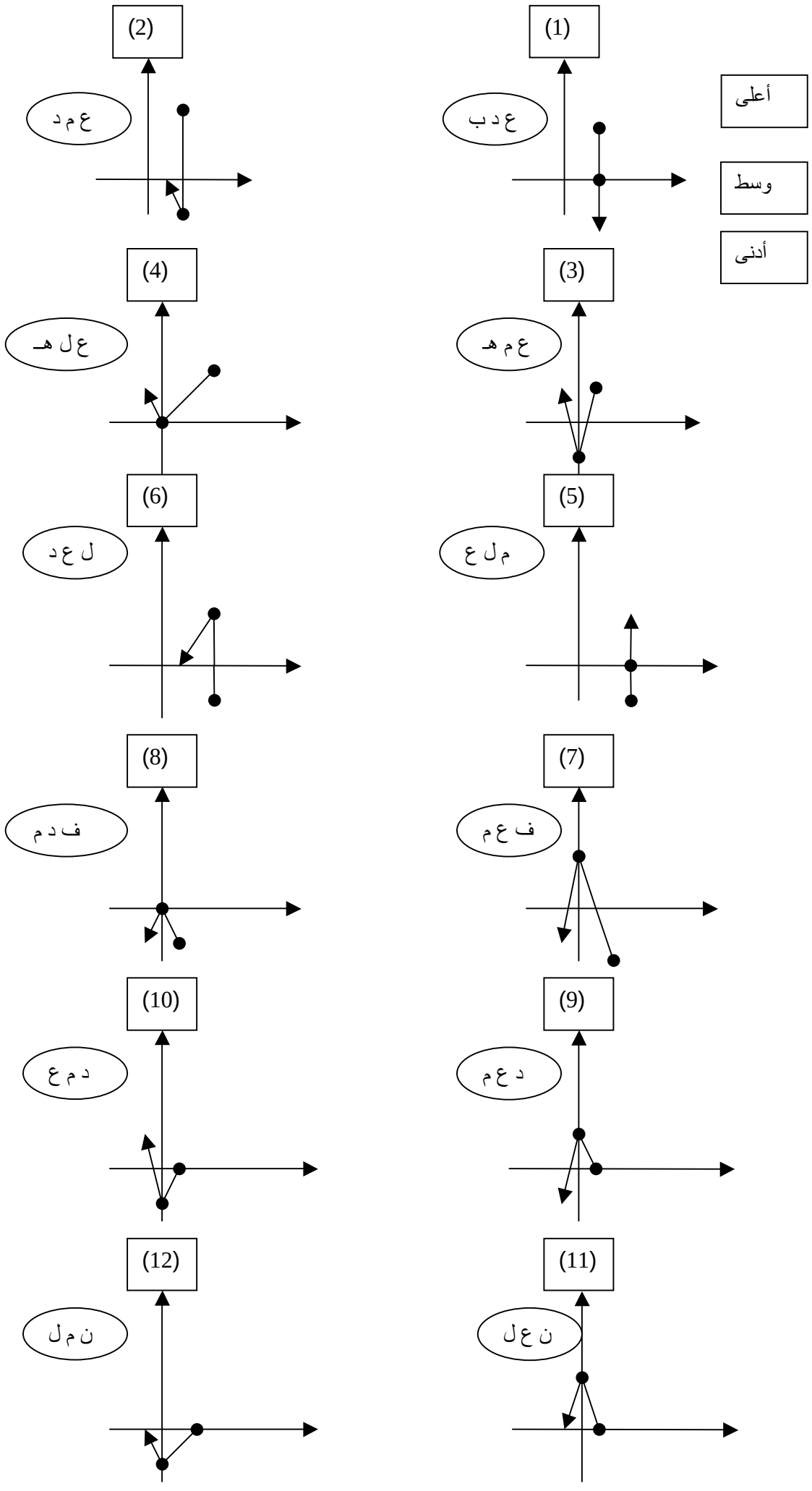
(1)
ع د ب
أعلى
وسط
أدنى
(2)
ع م د
(3)
ع م هـ
(4)
ع ل هـ
(5)
م ل ع
(6)
ل ع د
(7)
ف ع م
(8)
ف د م
(9)
د ع م
(10)
د م ع
(11)
ن ع ل
(12)
ن م ل

يقول بهاء الدين إنّ أحسن هذه التراكيب الأول فالعاشر فالسادس . وأما الخامس والتاسع فهما سيان [06] . أي أنّ أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى .

وعند ملاحظتنا لحركية الانتقال في الكلمة العربية نجد أحوالها تختلف من هيئة إلى أخرى . وهو ما يجعل المردود الاقتصادي لأداء البنية المفردة مختلفا من واحدة إلى أخرى . وفي هذا السياق – وفي محاولتنا الوقوف وقفة علمية عند كل تركيب – يمكن أن نرصد أسس المفاضلة بين هذه التراكيب ، بحسب حركية الانتقال وأثرها المباشر في الاقتصاد اللغوي في ثلاثة أسس من منطلق شكل الانتقال ومنحاه .

1- إنَّ أحسن التراكيب ما كان فيه الانتقال من أقصى إلى أدنى ، على مراحل ، دون الرجوع عكسياً . أي الانتقال في جميع المراحل يكون موافقاً لاتجاه خروج الهواء

2- ثم يليه ما كان فيه الانتقال في الاتجاهين (من أقصى إلى أدنى ثم العكس في الوقت نفسه) وأسهل التراكيب في هذا ، هو ما كان فيه الانتقال في المرحلة الأولى من أدنى إلى أقصى (صعود) ثم العودة من أقصى إلى أدنى في المرحلة الثانية . (أي في حدور) لأنَّ الانتقال في المرحلة الأولى في صعود عكس خروج الهواء يساعده عامل هو كون الجهاز الصوتي في راحة ، أما الانتقال الثاني يساعده عامل الانحدار لأنه موافق لاتجاه خروج الهواء . (ت : 6 ، 7 ، 8 ، 9 ، 11) . وأصعبها ما كان عكس هذا . أي الانتقال في المرحلة الأولى من أقصى إلى أدنى ، ثم الصعود عكسياً في المرحلة الثانية (ت : 2 ، 3 ، 4 ، 10 ، 12) .

3- التدرج في الانتقال يدخل في اعتبار الخفة والثقل.فالانتقال المتدرج (أقصى، وسط أدنى) (أدنى، وسط، أقصى) ، (أدنى، وسط، أدنى) ، (أقصى وسط أقصى) . (ت: 1 ، 4 ، 5 ، 8 ، 11 ، 12) يكون أخف من الذي لا توجد فيه مرحلة توقف وسطى (من أقصى إلى أدنى مباشرة أو العكس).(ت : 2 ، 3 ، 6 ، 7 ، 9 ، 10) .

3.2.1 أكثر الصيغ ترددا في الاستعمال

إنّ أكثر الصيغ استعمالا في العربية ، هي تلك الأقل جهدا . << والقانون اللغوي يبين أن أكثر الألفاظ دورانا في الاستعمال اللغوي ، هي تلك الأقل مؤونة على اللسان>>[13].

فتواتر المفردات في الاستعمال ، يتناسب عكسا مع عدد حرو فها: فكلما كانت اللفظة المفردة تتكون من عدد قليل من الحروف، كلما كان دورانها واستعمالها أكثر . وكلما كانت المفردة تتكون من عدد كبير من الحروف كلما كان دورانها واستعمالها في اللغة أقل .وهذا لاعتبار الخفة . لذا<< كان الثلاثي أكثر الأبنية استعمال >> [15] . عكس الرباعي والخماسي ، لكثرة الحروف التي يحتويها كل منهما، وهو ما يتطلب معها زمنا زائدا لأدائهما.

وقد ذكر أبـ و بكر الزبيدي (ت379هـ) أن المستعمل في كلام العرب في عهده بإستثناء بعض الحالات التركيبية يتوزع عدد مفرداته كما يلي << أربع مائة وتسعة وسبعون مفردة في الثنائي، و أربعة آلاف، ومئتان وتسعة وستون في الثلاثي و ثمان مئة وعشرون في الرباعي و اثنان وأربعون في الخماسي [06] . ومنه ترى الكثرة الكبيرة في الثلاثي ، وقلة الرباعي والثنائي، وندرة الخماسيوهي معطيات يؤكدها إحصاء للنص القرآني إذْ تبين أن أصول المفردات فيه، يرجع منها إلى الثلاثي ألف ومائة وستون أصلا ". في حين أن ما يرجع إلى الرباعي هو خمسة عشر أصلا فقط . أما الخماسي والثنائي فإنهما نادران>> [07]

إذن فميل مستعمل اللغة إلى الكلمات القصيرة ، على مرادفاتها الطويلة . وإرتباط طول الكلمة بكثرة ترددها ارتباطا عك سيا، من المظاهر البارزة في الاقتصاد اللغوي في الصيغ ومن ثم الإقتصاد في اللغة بشكل عام.

4.2.1. الاقتصاد الذهني في الصيغ

المقصود بالاقتصاد الذهني في الصيغ، سهولة استحضارها ذهنيا وتوظيفها في سياقات وأحوال مختلفة، أو تلقيها وفهمها ، ومن ثم تخزينها .وفي كلتا الحالتين بشكل سريع . وهذا نتيجة إنتظامها في بنى لغوية عن طريق ارتباطها بعلاقات خاصة سواء كانت لفظيةأو معنوية . وهو ما يتخذ أشكال عدة في اللغة العربية، نذكر منها.

1.4.2.1. اشتراك عدة ألفاظ في حرف أو حرفين

قد تشترك عدة ألفاظ ثلاثية في الحرف الأول ، أو في الحرف الأول والثاني ، أو في الحرف الثاني والثالث أو في الحرف الأخير . وهو ما ينتج عنه بؤرة دلالية نتيجة تقارب هذه الألفاظ في المعاني.

فالألفاظ غمد ، غمر، غطس، ، تشترك جميعا في الحرف الأول وهو حرف : الغين وكلها تدل على معنى: الاستتار والخفاء. وكذلك الألفاظ: خطف وقطف ونطف ، تشترك جميعا في الحرف الأخير ، وهو حرف " الفاء" وكلها تدل على معنى القلع يقول ابن جني << واستعملوا التراكيب (ج ب ل)،و(ج ب ن) و (ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد وهو الإلتئام والتماسك>> [01]

فاشتراك هذه الألفاظ في حرف أو حرفين ، << ينبثق عنه ارتباط صوتي ودلالي بين ألفاظ مستعملة في معان أصلية ، وأخرى في معان فرعية تشبهها أو تقرب منها . ذلك لأن المعاني القريبة مما هو مألوف مستوعب تحتك به في النفس ، وتستقطب الأصوات القريبة منه لتدخلها في حيزها التعبيري>> [07]وفي هذا اقتصاد ذهني للصيغ بتقاربها ا لدلالي.ومن ثم سهولة استعمالها انتاجا أو إدراكا وتوظيفا .

ولتوضيح هذا بصورة أكثر جلاء نستعين بالرسم التالي:

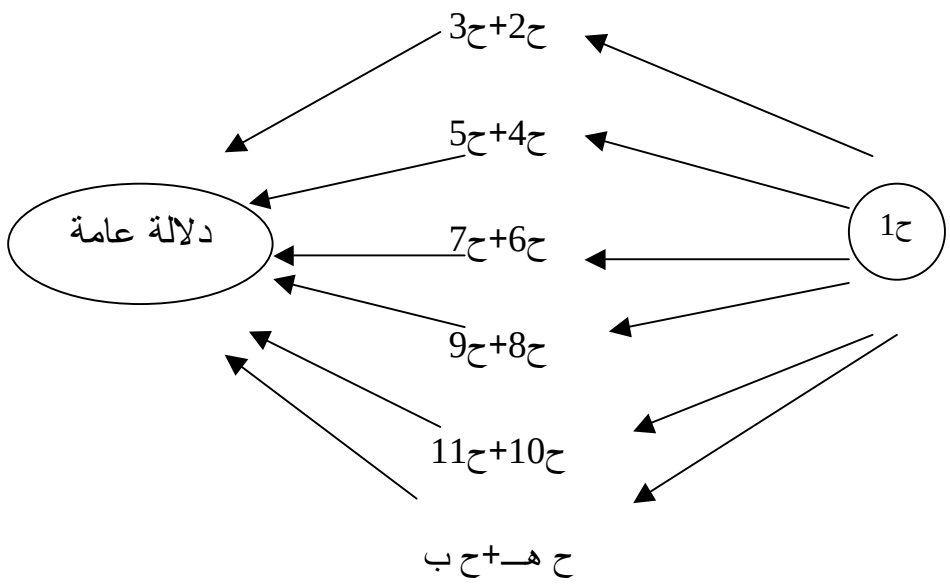

الشكل 2.1 . رسم تخطيطي يوضح آلية الاقتصاد الذهني في الصيغ

يوضح الرسم وجود قاسم مشترك بين الألفاظ يتمثل في الحرف الأول ح 1 (الحرف الأول في كل منها) . مع إتحادها أو تقاربها في الدلالة العامة.

2.4.2.1. الحقول الدلالية

إن انتظام الصيغ في حقول دلالية خاصة، بوجود رابط مشترك بينها، له دور في اقتصاد الجهد الذهني للإنسان لأن تشعب الصيغ اللغوية وتفر عها في الوقت نفسه إلى عدة فروع ، مع اختلاف كل فرع منها عن الفرع الآخر، لانفراده بمواصفات وخصائص معينة تخصه هو دون سواه ، فيه تشتت للقدرة الذهنية للفرد وهو ما يصعّب استحضارها ومن ثم توظيفها.

واللغة العربية تقوم على اتحاد قوالب للمعاني، تصب فيها الألفاظ . وهياكل تبنى على هيئتها مواد الكلمات فتتشاكل بذلك في الدلالة العامة >> [08] ،فيسهل استحضار الصيغة أو دلالة الصيغة بسهولة وبسرعة .وهذا عمل اقتصادي . لأن الألفاظ اللغوية تجتمع في زمر محددة بارتباطها فيما بينها عن طريق الصيغ، ومن ثم تماثل دلالاتها الصرفية . أو عن طريق تقارب دلالاتها في الأصل اللغوي ، فيكون هنا الرابط بينها رابطا معنويا.

أ. رابطة الصيغة

بالإضافة إلى الدلالة المعجمية - وهي الدلالة التي يشترك فيها جميع المتكلمين الناطقين بلغة واحدة وفي بيئة واحدة ، خارج اعتبار سياق الكلام -فإن الدلالة الصرفية لـ ها أهمية كبيرة في عملية الاقتصاد اللغوي، إذ من خلالها يسهل فهم مدلولات الألفاظ أو إنتاج صيغ معينة انطلاقا من مدلولات محددة.فلو أخذنا مثلا صيغة : " فاعل" . فهذه الصيغة تحمل دلالة معينة يمكن صب فيها عددا كبيرا جدا من الجذور ، لإنتاج دلالة الكلمات . فنقول: كلب قارئ ، قائم ...إلخ. وكذلك صيغة " مفعول" مثلا : نقول: مكتوب ، مرسوم ، مسلوب، مقتول ...إلخ. أو صيغة: "فعّال" الدالة على المبالغة:كتّاب، رسّام ، فهّام ...إلخ. وغيرها من الصيغ الصرفية المتعددة التي تحمل في ذاتها دلالة معينة ، إضافة إلى دلالة الألفاظ التي 'تصبْ فيها. فتنتظم الألفاظ بهذا في مجموعات حسب صيّغها.

ب. رابط المعنى

ترتبط الألفاظ فيما بينها بتقارب دلالاتها وهو ما يجعلها تنتظم تحت مفهوم دلالي واحد . فتكون بذلك سهلة التناول والتوظيف كما تكون سهلة الإستعاب والفهم .فإذا أخذنا الألفاظ : علم , تعليم , تربية , معرفة , تدريس , دراسة . فكل هذه الألفاظ ترتبط فيما بينها بانضوائها تحت مفهوم

دلالي واحد هو : : العلم والمعرفة .لذا فإن مستعمل اللغة لا يجد مشقة كبيرة في استعماله لهذه الألفاظ بحسب السياقات والأوضاع التي يقتضيها المقام .

ومجمل القول هو أن انتظام الا لفاظ والصيغ على نحو معين ، يجعل اللغة أبعد ما تكون عن التشويش و عن صعوبة الاستعمال , وما ينجر عنه من إطناب في بعض الأحيان وغلو في أحيان أخرى . بل يجعلها على قرب من الدقة في الإستعمال وهو اقتصاد للمجهود الذهني وللمجهود العضلي _فيما يتعلق بالأداء _ في الوقت نفسه .

3.1.الاقتصاد في التركيب

كما يكون الاقتصاد اللغوي في الأصوات وفي الصيغ، فإنه يكون كذلك في التراكيب . وكما يتخذ في الأصوات والصيغ أشكالا متعددة. فإنه يكون كذلك في التراكيب.

فما ورد في العربية من صُوَر النحت من حوقلة، وبسملة، وحمدلة . يعتبر اختصارا واختزالا لتراكيب طويلة ، مع الاحتفاظ الكلي بدلالتها . وهو مظهر واضح من مظاهر الاقتصاد اللغوي في التراكيب . كما يعتبر الحذف ، أهم عامل مؤد إلى الاقتصاد اللغوي الذي يطال عدة مستويات تركيبية .

1.3.1. الحذف

إن من أهم أسباب الحذف التخفيف واختزال الجهد ، فكثرة الاستعمال وطول التراكيب، يولد رغبة في الاختصار والاختزال لدى المتكلم . لذلك كان الحذف كثيرا في التراكيب ويعد من قبيل ظاهرة الحذف اختصارا وإيجازا ، ما يقع في القصص القرآني الذي يعني بذكر ما يتعلق الغرض به، ويحذف ما يمكن أن تدل القرائن عليه أو ما ليس للنص غرض في ذكره ومن ذلك قوله تعالى في قصة سليمان –عليه السلام والهدهد والملكة بلقيس :<< اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ،ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون >> ثم الآية التالية لها مباشرة << قالت يا أيها الملأ إني ألقيّ إليّ كتاب كريم>> [17]وهذا دون ذكر رحلة ذهاب المـ لك، والحوار الذي جرى بينه وبين الملكة، السياق.فنوظف منها ما نراه الأكثر مقدرة على الدلالة والأكثر إنتاجية لها من جهة ، ومن جهة أخرى الأكثر تأثيرا لدى متلقي اللغة (الخطاب) لاختصار كل الفوارق الدلالية الممكنة بين الطرفين ورد فعل الملكة ، وغيرها من الأحداث الـ هامشية التي يمكن أن تحدث في هذه القصة [18] ،فالنص

القرآني هنا يعرض عن ذكر التفصيلات التي يمكن إدراكها عقلا ، أو التي لا يتعلق بها غرض النص مباشرة. وهو ما يؤدي إلى كثافة المعاني وقله الألفاظ..

وقد يطال الحذف ركنا أساسيا من أركان التركيب كحذف المبتدأ في قو له تعالى: << سورة أنزلناها وفرضناها...>> [17] ،والتقدير : <<هذه سورة أنزلناها ...>> أو حذف الخبر، كقوله تعالى: <<ولو أنتم لكنَّا مؤمنين ...>> [17] ،وتقدير الخبر: موجودون . أو حذف الفعل كقول الشاعر: ديارَ ميّة إن ميّ تساعفنا **ولا يرى مثلها عجم ولا عرب .فأنشد البيت بنصب : ديار على إضمار الفعل كأنه قال :اذكر ديار مية ... [19] أو حذف حرف ، كقوله تعالى في سورة يوسف: << تالله تفتأ تذكر يوسف >> [17] ،والتقدير: <<لا الله لا تفتأ تذكر يوسف >>. لأن: تفتأ: فعل مضارع ناقص يجب أن يسبق بنفي.

ومن خلال هذه الأمثلة المذكورة ، يتبين لنا الأهمية الكبيرة للحذف في الاقتصاد اللغوي إذ به نحصل على مردود كبير وبأقل من اللفظ . سواء أطال هذا الحذف ركنا أساسيا من أركان الجملة كالمبتدأ، أو خبرا أو فعلا أو فاعلا . أم طال سياقات كلامية طويلة، كما رأينا في الأمثلة السابقة.وهذا ما أفرله عبد القاهر الجرجاني في : دلائل الإعجاز، فصلا كاملا .حيث قال في الحذف: << هذا باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر . فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما يكون .إذا لم تنطق . وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن>> [19] .

فاللغة تعتبر من السلوكات الإنسانية ، التي يظهر فيها الاقتصاد جليا . فكثيرا ما يريد الإنسان أن يبلغ أغراضه بأبسط السبل، وأيسرها تخفيفا على جهازه الصوتي من جهة ، وعلى مجهوده الذهني من جهة أخرى [30] حتى نصل إلى أعلى مستوى ممكن من الممار سة اللغوية الاقتصادية، لا بد من التمكن من الملكة اللغوية، حتى نتمكن من إنتقاء أحسن وأسهل الألفاظ والتراكيب، وتوظيفها توظيفا دقيقا ، بحسب مقتضيات.

وبذلك فإنها تمتلك مجموعة من الإمكانات التعبيرية في البيئة اللغوية الواحدة وهي إمكانات مكثفة بالغة الإختزال تـ نقل المعاني والتجارب والأحاسيس والتصورات والأحداث، للتواصل وتحقيق رسالة الإنسان في الوجود ، فلا غرو أن تكون أدق وسيلة وأخصرها وأقدرها على الأداء والإبلاغ [07] ،وتتضح لنا الأمداد الهائلة التي تمثلها اللغة في مجال الاقتصاد والتكثيف ، بذكر ما عرف بين الناس من درجات السرعة في ظواهر الحياة . فنحن نعبر عن السرعة الفائقة بطرف العين ، لأنه

ينتقل بين الافاق المتباعدة بلمح البصرثم إذا أردنا المبالغة في ذلك استعملنا تنقل الصوت . وإذا قصدنا أبعد الإمكانات المعروفة استحضرنا سرعة الضوء، في حين أن الفكر أو الاستعمال اللغ وي الصامت، يفوق ذلك كله بما لا يمكن تقديره، إذ أن الإنسان يستطيع أن ينتقل بفكره بين أرجاء الزمان والمكان من دون حدود [07] .

وبعد هذا العرض الموجز لبعض الجوانب الاقتصادية التي تتميز بها العربية في جميع مستوياتها يمكن الحكم على أن اللسان العربي لسان اقتصادي من منطلق ما يتضمنه من خصائص وميزات تؤهله لأن يكون وشيلة اتصال فعالة ودقيقة لأنه يجب في كل موقف خاص صياغة أشكال التعبير دون أن تحتوي على أكثر مما يحتاج إليه المتلقي للفهم والاستيعا ب. << وهذا في حد ذاته مستوى عقلي متحضر راق جدا إلى تحقيق التوازن بين المجهود

الفصل2
مفاهيم صوتية

تمهيد

قبل التطرق إلى تحليل الظواهر الصوتية الصرفية ، المؤدية للانسجام الصوتي في البنية المفردة . لا بد من تحديد بعض المفاهيم ، المهمة في دراستنا . والتي تتعلق بجانبين :

- الجانب الأول : ويتمثل في الجهاز الصوتي . بتحديد مفهومه ، والأجزاء المكونة له ودور كل جزء من هذه الأجزاء في عملية النطق .

- الجانب الثاني : يتعلق بحروف العربية في حد ذاتها بتحديد مخارجها ، وصفاتها لأن معرفة مخارج الحروف وصفاتها ، مهم جدا في موضوع تحليل التغيرات الصوتية الناتجة عن تجاور بعض الأحرف المتنافرة داخل بنية الكلمة . لبيان تأثير الحرف القوي على الضعيف ، وإبداله إلى أقرب الحروف منه ، قصد التخلص من بعض القيود النطقية بتحقيق الانسجام بين أصوات الكلمة ، ومن ثم الاقتصاد في الجهد العضلي لدى المتكلم . بجعل الكلمة خفيفة يسيرة على اللسان .

و لتحديد هذه المفاهيم بدقة . من جهة ، ومن جهة أخرى بيسْر ، ودون تداخل . رأينا أن نجعل العلامة سيبويه مرجعا أساسيا في هذا لاكتمال مأربنا عنده ووضوحه في الوقت نفسه، وكذلك اعتماد جل الدراسات التي جاءت بعده عليه في هذا الجانب .

1.2.الجهاز الصوتي : (appareil phonatoire)

لا نجد للخليل ، ولا لسيبويه ، ولا لابن جني ، وصفا دقيقا وكاملا للجهاز الصوتي عند الإنسان . عدا بعض الإشارات التي كانت في أغلب الأحيان عارضة ، عند تطرقهم لمخارج الأصوات أو صفاتها هذا راجع إلى بعدهم عن علم التشريح الذي له دور كبير في معرفة الجهاز الصوتي ، معرفة متكاملة . إلى أن جاء الشيخ الرئيس ابن سينا (ت 428 هـ) برسالته

المشهورة : (رسالة في أسباب حدوث الحروف) . أين أعطى معلومات دقيقة عن أعضاء الجهاز الصوتي بتشريحه للسان والحنجرة وغيرهما [22] .

أما إذا جئنا إلى المحدثين << فإننا نجدهم قد فصلوا في وصف الجهازالصوتي تفصيلا دقيقا مستندين في ذلك إلى الأبحاث العلمية الطبية واللغوية .وقد تبين من أبحاثهم أن الجهاز الصوتي عند الإنسان يتكون من أجزاء ثابتة وأخرى متحركة . فالأجزاء الثابتة هي : الأسْنان العليا .واللثة.والغار.(وهو الجزء الصلب من سقف الحنك) . والجدار الخلفي للحلق وما عدا هذا فهو متحرك [23] .

واختلاف الأصوات الصادرة عن الجهاز الصوتي عند الإنسان ، تعود أساسا إلى اختلاف وضعية الأعضاء المشكلة له وتشاكل بعضها مع بعض على نحو معين ، لحظة إصدار الصوت . وقد مثّل هذا ابن جني بالناي . وفي هذا يقول : << وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا ساذجا ، كما يجري الصوت في الأنف غفلا بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله ، على خروق الناي المنسوقة ، راوح بين عمله ، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة >> [16] .

وّ هذا ما يدل على شيء . فإنما يدل على الوعي العلمي العميق عند ابن جني، دون أن يستند إلى أي تقنية تساعده على ذلك فيما نعلم .

1.1.2.الأعضاء المشكلة للجهاز الصوتي حسب الدراسات الحديثة

1.1.1.2الرئتان (poumon)

وإن كان هذا العضو ليس له علاقة مباشرة ببحثنا هذا . إلا أننا أردنا الإشارة إليه وذكره لأهميته في عملية إصدار الصوت . فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس ، وبغير عملية التنفس ، لا يكون الكلام . فالرئتان لا يمكن الاستغناء عنهما في النطق [09] .

2.1.1.2القصبة الهوائية (trachè)

<< فيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة>> [09]

3.1.1.2.الحنجرة (larynx)

وتعتبر العضو الأساسي في إنتاج الصوت ، لاشتمالها على الوترين الصوتيين (cordes vocales) وهي عبارة عن حجرة متسعة نوعا ما . مكونة من ثلاثة غضاريف [23] .

4.1.1.2.الحلق (pharynx)

<<هو الجزء الذي بين الحنجرة والفم ، وهو عبارة عن فراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة . وينقسم إلى ثلاثة أقسام : أقصى الحلق ، وسط الحلق ، أدنى الحلق>>[09]

5.1.1.2.اللسان (langue)

<<عبارة عن عضلة مرنة ، كثيرة الحركة ، في الفم عند النطق فهو ينتقل من وضع إلى آخر ، فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة . وقد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام : أول اللسان بما في ذلك طرفه ، وسط اللسان ، أقصى اللسان [09] .

6.1.1.2.الحنك (palais)

وردت له عدة تسميات في كتب المحدثين . منها الحنك الأعلى سقف الفم، و سقف الحنك . وهو الجزء الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة . ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لكل جزء من أجزاء الحنك ، تتكون مخارج كثيرة وينقسم إلى عدة أقسام : الأسنان ، ثم أصولها ، ثم وسط الحنك ، أو الجزء الصلب : (الغار) ، ثم أقصى الحنك أو الجزء اللين منه (الطبق) . ثم اللهاة [09] .

7.1.1.2.الفراغ الأنفي (fosse nasale)

وهو منفذ لخروج الهواء يقع أعلى المنفذ الفموي .

8.1.1.2.الشفتان (les lèvres)

تتحركان بحرية في كل اتجاه وتتخذان أوضاعا مختلفة عند نطق الأصوات [23] .

2.2.مخارج وصفات حروف العربية

1.2.2. مخارج حروف العربية

1.1.2.2.مفهوم المخرج (lieu d'articulation)

المخرج لغة

<<هو محل الخروج >> [25]نقول خرج يخرج خروجا . ومخرجا فهو خارج . قال الجوهري ، قد يكون المخرج موضوع الخروج. يقال مخرجا حسنا وهذا مخرجه [12] .

المخرج اصطلاحا

استعمل اللغويون القدماء عدة مصطلحات تتعلق بمصطلح << المخرج >> . فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) . استعمل أربعة مصطلحات وهي : المخرج ، والحيّز والمدرج، والمبدأ . يقول : << في العربية تسع وعشرون حرفا ، منها خمس وعشرون صحاحا ،لها أحياز ومخارج . أربعة أحرف جوف وهي : الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف . فلا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولا مدارج اللهاة ... [26] ،كما يقول أيضا : <<فالعين ، والحا ء ، والخاء ، والغين ، حلقية لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة ...>> [26] .

أما سيبويه (ت 180 هـ) فاستعمل مصطلح << الموضع >>. للدلالة على ما يدل عليه مصطلح << المخرج >> في مواضع عديدة من كتابه حيث نجده يقول في معرض حد يثه عن الحروف المطبقة : << وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن [في مواضعهن] إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ، ترفعه إلى الحنك . فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف ، وأما الدال والزاي ، فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن >>[27] ، وواضح من ظاهر كلام سيبويه أنه استعمل مصطلح : << الموضع >> للدلالة على مصطلح << المخرج >> . أي مكان التقاء أعضاء النطق عند إنتاج الحرف ولحظة حدوثه ، سواء كان ذلك التقاء محكما وتاما ، أو دون ذلك أي : تضييق فقط .

أما ابن جني (ت 392 هـ) فنجده يستعمل مصطلح : << المقطع >> يقول : <<اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا ، حيث يعرض له في الحلق والفم والشفتين ، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته (...) وتختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها>> [16] .

أما المتأخرون فنجد منهم ابن يعيش (ت 643 هـ) . يستعمل مصطلحي :<< المخرج >>، و<<المقطع>> معا. بل يعرف الأول بالثاني فيقول : << المخرج هو المقطع الذي ينتهي عنده الصوت>> [28] ،كما نجد ابن الجزري (ت 833 هـ) كذلك يوظف مصطلح المخرج : يقول : أول ما يجب على مريد إتقان القرآن ، تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص به>> [29] .

ومن خلال هذا العرض الموجز للمصطلحات المستعملة عند اللغويين القدماء للدلالة على ما يدل عليه مصطلح : << مخرج >> نلاحظ اختلافا بينهم في المصطلح، وفي استعماله (مبدأ ، حيّز ، مدرجة ، موضع ...) وهو ما يوحي إلينا بأنّ الاختلاف لا يكمن في مستوى هذه الدوال ، بل يكمن في المدلولات في حد ذاتها . فالذي يعنيه الخليل بالحيّز مثلا ، ليس هو الذي يعنيه بالمخرج . والدليل على ذلك أنّ الخليل بن أحمد يورد المصطلحين مع بعض فقال : حيّز وقال : مخرج . كما أوردنا .

وإلى استشارح أساتذتي، فإنّ الفروق بين هذه المصطلحات تكون على الشكل الآتي : سمّي المخرج مخرجا لخروج الحرف منه ، والمدرج مدرجا لتدرج الحروف فيه صعودا ونزولا ، أما الحيّز فهو يضمهما معا . أما الموضع والمقطع فهما مرادفان للمخرج .

2.1.2.2.عدد مخارج حروف العربية

لقد اختلف اللغويون القدماء ، في ضبط عدد مخارج حروف العربية ، و هذا الاختلاف يمكن رصده في ثلاثة أوجه :

1. فريق ذهب إلى أنّها سبعة عشر مخرجا ، وذهب إلى هذا الخليل بن أحمد الفراهيدي . ومن المتأخرين الذين ذهبوا مذهبه نجد: أبا الخير محمد بن محمد الدمشقي

(ابن الجزري) . يقول ابن الجزري : << ... فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا ، وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد (...) وغيره ، سبعة عشر مخرجا (...) وهو الذي أثبته ابن سينا (ت 428 هـ) >> [29] .

2. فريق ذهب إلى أنّها ستة عشر مخرجا . وهو مذهب سيبويه . يقول :

<< ولحروف العربية ستة عشر مخرجا ...>> [27] . وقد تبعه في هذا جل اللغويين الذين أتوا بعده ،على رأسهم العلامة أبو الفتح عثمان بن جني ، وابن يعيش [16] ، وذلك بإسقاطهم لمخرج << الجوف >> - وهو المخرج السابع عشر عند الخليل بن أحمد الذي يقول : <<...أربعة من الجوف>> : الواو والياء والألف اللينة والهمزة . سميت جوفا لأنّها تخرج من الجوف [26] ، – وتوزيع حروفه على بقية المخارج . وهذا ما سنورده مفصلا فيما بعد .

3. أما الفريق الثالث فقد عدّها أربعة عشر مخرجا ، << وذهب إلى هذا علماء القراءات والتجويد منهم: قطرب ، والجرمي ، والفرّاء ، وذلك بأنهم جعلوا مخارج تجويف الفم ثمانية باختزال مخارج الراء ، واللام ، والنون ، في مخرج واحد >> [29] ، بيد أنّ سيبويه جعل لكل حرف منها مخرجا خاصا.

ولعلّ الاختلاف في تحديد عدد مخارج حروف العربية ، يرجع إلى تباين في الـ ملاحظة الحسية عند كل فريق من هؤلاء . ذلك أنّ الجهاز الصوتي عند الإنسان مستقر على طبيعته . كما أنّ الأصوات اللغوية ثابتة ومستقرة على طبيعتها الصوتية إلى حد بعيد ، في نفس البيئة الزمانية والمكانية ، ونظرا لاستعمال الملاحظة الحسية في هذه الدراسة ، فإنّه يمكن إرجاع هذه الاختلافات إلى اختلافات في دقة الملاحظة الحسية وعمقها بين هؤلاء فقط ليس أكثر .

3.1.2.2. كيفية تحديد مخرج الحرف

استعمل اللغويون القدماء طريقة خاصة في تحديد مخرج الحرف . فكانوا يأتون بالحرف ساكنا ، مسبوقا بهمزة وصل،فكان بهذا أن يحدث الحرف محققـ ـا تحقيقا كليا ، إذ حيث انتهى الصوت فهو مخرجه .

يقول ابن جني : << وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا ، لأنّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره ، وتجذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه . ثم

تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأنّ السـ ـاكن لا يمكن الابتداء به فتقول : اكْ ، اقْ ، اجْ وكذلك سائر الحروف [16] ، أما ابن الجزري فيرى في كيفية تحديد مخرج الحرف أن تلفظ به بعد همزة الوصل ساكنا أو مشددا [29] ، مثل : أدّ ، أبّ .

4.1.2.2.عدد حروف العربية

عدد حروف العربية عند الخليل بن أحمد الفرا هيدي تسعة وعشرون حرفا . منها خمسةوعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج. وأربعة أحرف جوف(...)هي هوائية [26]

أما سيبويه فقد عدّد حروف العربية إلى حروف أصول Génotypes ، وأخرى فروع Métatype . فأما الحروف الأصول عنده فهي :الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين والـ حاء، والغين ، والخاء ، والكاف، و القاف ، والضاد والجيم والشين والياء ، واللام ، والراء ، والنون ، والطاء والدال والتاء والصاد والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء والميم، والواو>> [27] ، وهي تسعة وعشرون حرفا .

وتتفرع عن هذه الحروف الأصول أخرى فروع . منها << ما يؤخذ بها ، وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي : النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والألف التي تمال إمالة شديدة ، والشين التي كالجيم . والصاد التي تكون كالزاي . وألف التفخيم >> [27] << ومنها غير المستحسنة ولا تكون كثيرة فيلغةترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر . وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي [كالكاف والجيم التي] كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء >> [27]

إذن فحروف العربية عند سيبويه تنقسم إلى قسمين :

1- حروف أصول وعددها تسعة وعشرون حرفا .

2- حروف فروع
- مستحسنة وعددها ستة أحرف .
- غير مستحسنة وعددها سبعة أحرف

5.1.2.2.مخارج حروف العربية

قال الخليل : << العين والحاء [والهاء] والخاء والغين حلقية . (...) والقاف والكاف لهويتان (...) والجيم والشين والضاد شجرية .(...) والصاد والسين والزاي أسلية (...) والطاء والتاء والدال نطعية . (...) والظاء والثاء والذال لثوية . (...) والراء واللام والنون ذلقية . (...) والفاء والباء والميم شفوية . (...) والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيّز وا حد ، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه >> [26] . هذا عند الخليل .

أما عند سيبويه، وفي تحديده لمخارج الحروف، فإنّه خالف الخليل بن أحمد في كثير منها ، وكان تحديده لها كالآتي :

1- أقصى الحلق : الهمزة ، الهاء ، الألف (ء.هـ.ا) .
2- وسط الحلق : العين ، الحاء (ع.ح) .
3- أدنى الحلق : الغين ، الخاء (غ.خ) .
4- من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى : القاف (ق) .
5- أسفل موضع القاف من اللسان قليلا ، وما يليه من الحنك الأعلى : الكاف (ك) .
6- وسط اللسان بينه وبين ما يليه من الحنك الأعلى : الجيم ، الشين ، الياء (ج.ش.ي) .
7- من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس : الضاد (ض) .
8- من حافة اللسان ، من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فوق الثنايا : اللام (ل) .
9- من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا : النون (ن) .
10- من مخرج النون ، غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام:الراء (ر)
11- بين طرف اللسان ، وأصول الثنايا : الطاء ، الدال ، التاء (ط.د.ت) .
12- مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا : الزاي ، الصاد ، السين (ز.ص.س) .
13- مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا : الظاء ، الذال ، الثاء (ظ.ذ.ث) .
14- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا : الفاء (ف) .
15- بين الشفتين : الباء ، الميم ، الواو (ب.م.و) .
16- من الخياشيم . ويضم مخرجا واحدا ينتج حرفا واحدا : النون الخفيفة (ن) [26] .

وقد وافق ابن جني سيبويه في هذا [16] ، وذهب إلى أنّ ترتيب الخليل بن أحمد الفراهيدي : << فيه خطل واضطراب ومخالفة >> [16] ، ووجه الاختلاف بين خليل وسيبويه هو أن - سيبويه جعل الهاء بعد الهمزة مباشرة ، في حين جعلها الخليل بعد الحاء . كما جعل سيبويه الهمزة والألف أقصى الحلق ، والياء من وسط اللسان ، والواو من الشفتين ، وبالمقابل لم يجعل لهم الخليل مخرجا خاصا واعتبرهم حروفا هوائية .

- جعل سيبويه اللام ، والنون ، والراء . على الترتيب بعد مخرج الضاد . في حين جعل الخليل بعد مخرج الضاد مباشرة الصاد والسين والزاي . وما يمكن ملاحظته من تقسيم سيبويه هو :

1/ أنّ عدد مخارج الحروف العربية ستة عشر مخرجا ، تنتج تسعة وعشرين حرفا . أي أنّ هناك مخارج تنتج أكثر من حرف .

2/ كل المخارج إما أحادية أو ثنائية أو ثلاثية (أي أنّ كل مخرج ينتج حرفا أو حرفين

أو ثلاثة) . وبعملية حسابية بسيطةنجد أنّ هناك ستة مخارج ثلاثية . ومخرجين ثنائيين . وثمانية مخارج أحادية .

3/ إنّ سيبويه يفْرد << للنون الخفيفة >> مخرجا خاصا بها (الخياشيم) . في حين لا يعدها من الحروف الأصول .

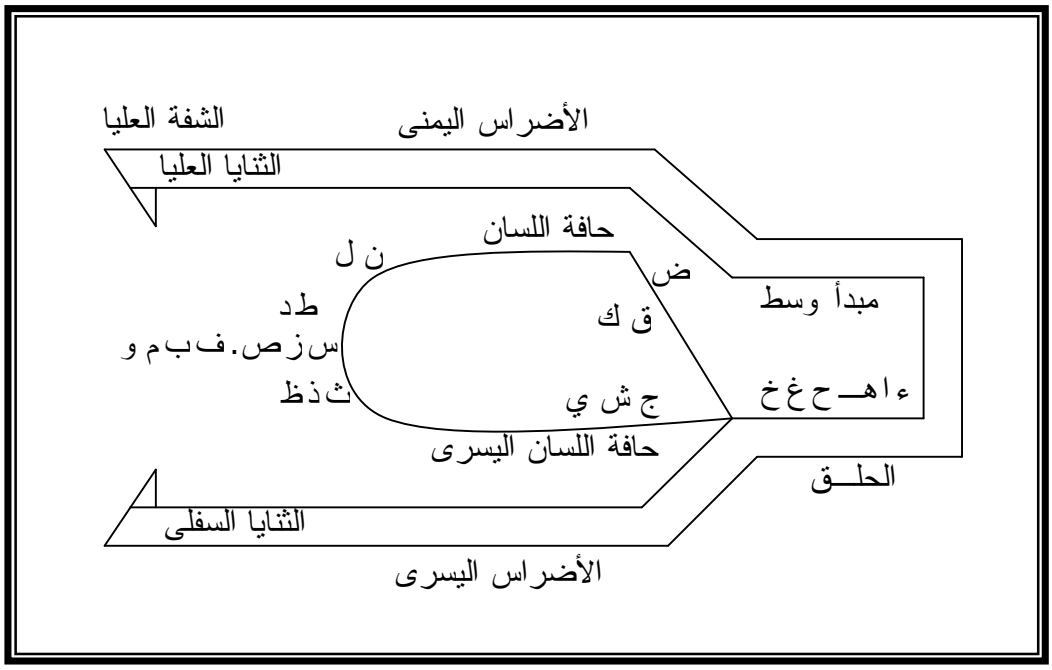

1.2.هذا الرسم يوضح مخارج الحروف في الجهاز
وذلك حسب تصور سيبويه لها[1]

نلاحظ من خلال الرسم أن الحروف متوزعة في الجهاز الصوتي بشكل متوازن باعتبار كل الأبعاد (البعد الطولي : بدءا من أقصى الحلق وانتهاء عند الشفتين. والبعد العرضي : الأضراس اليمنى حتى الأضراس السفلى . والبعد العمودي : من الحنك

2.2.2. صفات حروف العربية

1.2.2.2.مفهوم الصفة (mode d'articulation)

<< الوصف: المصدر، والصفة الحلية (...) واتصف الشيء: أمكن وصفه>> [12] . وصفة الحرف :<< هي كل ما من شأنه أن يعطي لونا خاصا، أوجرسا ما للحرف >> [31] أو هي كيفية تولد الحرف وخروجه من مخرجه . وتحدد الصفة بالنظر إلى : النفس ، تجاويف الجهاز الصوتي الأوتار الصوتية، حركة اللسان .

وقد قدم لنا اللغويون القدماء وصفا شاملا لصفات الحروف . محددين بذلك المميزات الخاصة بكل حرف، والتي تجعله في قيمة تمايّزية عن غيره من الحروف ، في نفس النظام

فالحرف يتميّز عن غيره من الحروف من حيث المخرج ، لأنّ تباين المخارج يؤدي إ لى تباين الحروف الناتجة عنها . غير أنّ هناك حروفا تشترك في نفس المخرج مثل مجموعة : (الزاي ، السين ، الصاد). التي تخرج كلها بين طرف اللسان وفويق الثنايا أو مجموعة (الهمزة ، الهاء ، الألف) والتي تخرج كلها من أقصى الحلقفالتمييز بين هذه الحروف ذات المخ رج الواحد ، يكون على مستوى الصفات، والتي يتميّز بواسطتها كل حرف عما سواه ، حتى وإن كان من المخرج نفسه . وذلك كالإطباق مثلا فلولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا [27] .

وقد ذكر سيبويه صفات كثيرة للأصوات العربية ، يمكن تصنيفها على النحو الآتي :

- صفات عامة هي : الجهر ، الهمس ، الشدة ، الرخاوة ، التوسط .
- صفات خاصة تتميّز بها مجموعات خاصة من الأصوات هي : الإطباق ، اللين والمد والاستطالة، والتفشي، و الصفير، و الغنة .
- صفات خاصة تتميّز بها أصوات مفردة هي : الانحراف ، التكرار [32] .

2.2.2.2. الصفات العامة

الجهر (sonorité)

قال سيبويه :<< فالمهجورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجرى معه ، حتى

ينقضي الاعتماد عليه ، ويجري الصوت >> [27] . والحروف المجهورة عنده تسعة عشر حرفا وهي الهمزة ، الألف ، العين ، الغين ، القاف ، الجيم ، الياء ، الضاد ، اللام ، النون ، الراء ، الطاء ، الذال ، الزاي ، الظاء ، الدال ، الباء ، الميم ، الواو>> [27] .

غير أن المحدثين ذهبوا إلى عد حرفي الطاء والقاف . من الحروف المهموسة وليسا من الحروف المجهورة، وذلك بالاستناد إلى الدراسات العلمية الحديثة ، ا لقائمة على التجارب المخبرية [27]

ومن خلال تأملنا في تعريف الجهر الذي قدمه سيبويه ، نلاحظ أنّه يقرن الجهر بحالتين أساسيتين هما : إشباع الاعتماد ، ومنع جريان النفس . فما معنى إشباع الاعتماد ؟ وما معنى منع النفس من الجريان ؟ وما علاقة إشباع الاعتماد بمنع النفس من الجريان ؟

إنّ إشباع الاعتماد هنا ، هو العملية العضوية المطلوبة في إصدارالصوت [09]. فإشباع الاعتماد يكون عند إنتاج صفة الجهر للصوت ، وليس عند إنتاج الحرف . والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا هو : في أي مكان من الجهاز الصوتي يكون هذا الاعتماد ؟

لقد تطرق اللغويون المحدثون إلى هذه الظاهرة قائلين بأنّها ناتجة عن اهتزاز الأوتار الصوتية ، فقد يتحرك الوتران الصوتيان عند مرور الهواء بهما ، في صورة ذبذبة ،فينتج الصوت المجهور . وقد لا يتحرك الوتران فينتج الصوت المهموس [33] .

إذن من خلال ما سبق وبمنظور فيزيائ ي ، نرى أنّ الجهر يحدث كالآتي : يؤدي اقتراب الوترين الصوتيين ، إلى سد مجرى الهواء المندفع من الرئتين . حتى يكاد ذلك أن يكون بشكل تام (منع جريان النفس) . وهنا يبدأ الضغط في الداخل بالارتفاع حتى إذا وصل إلى درجة معينة ، اندفع الهواء المحتبس بقوة كبيرة إلى الخارج ، محاولا تعديل الضغط بين طرفي الوترين الصوتيين وهذا وفقا لقانون الطبيعة العام (الضغط الداخلي > الضغط الخارجي) فيتسرب الهواء بين الوترين الصوتيين ضاغطا عليهما ليحركهما فيجري الصوت . فإذا تم الاعتماد صار النفس يجري على طبيعته .

إذن :

إشباع الاعتماد ⟵ منع النفس من الجريان

ويكون الصوت الناتج مجهورا ، لأنّ الاعتماد في الحنجرة يعطي صوتا قويا، وذلك ناتج عن الطبيعة البيولوجية للأوتار الصوتية ، المتميّزة بصفتها الرنانة . فعملية الجهر تحدث وفق المراحل الآتية :

1- إشباع الاعتماد في الحنجرة (والذي يؤدي إلى حدوث المرحلة الثانية) .
2- منع النفس من الجريان (والذي يؤدي إلى حدوث المرحلة الثالثة) .
3- جريان الصوت . أي نشاط الأوتار الصوتية الذي يسمح في النهاية للنفس بالانطلاق.

كيف نميّز الصوت المجهور ؟

يمكن تمييز الصوت المجهور بوضع أصابعنا على الحنجرة (فوق تفاحة آدم), لحظة النطق بالحرف . فنحس باهتزاز الوترين الصوتيين . كما أنّ سيبويه يرشدنا إلى طريقة أخرى لتمييز المجهور من المهموس ، وهذا بإخفاء الصوت . حيث أن هذا الإخفاء ممكن مع المهموسات دون أن تفقد معالمها أما الإخفاء مع المجهورات فيترتب عليه أن الحرف يضيع صفته المميّزة [09] . والذي يحدث حينئذ مهموسه .ولكي نتمكن من النطق بصوت مجهور وتكراره، لابد أن نسبقه أو نلحقه بحركة يقول سيبويه : << فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها ، وإن شئت أخفيت>> [27] .

الهمس (sourdité)

قال سيبويه :<< أما المهموس ، فحرف أضعف الاعتماد في موضعه ، حتى جرى النفس معه ، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس . ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ، فإذا أردت إجراء الحروف . فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد أو بما فيها منها ، وإن شئت أخفيت >> [27] . والحروف المهموسة عند سيبويه عشرة :<< الهاء ، الحاء ، الخاء ، الكاف ، الشين ، السين ، التاء ، الصاد ، الثاء ، الفاء>> [27] .

فالهمس عند سيبويه مقرون بحالتين :

الهمس = ضعف الاعتماد + جري النفس

وضعف الاعتماد ناتج عن تباعد الوترين الصوتيين ، مما يؤدي إلى احتكاك ضعيف جدا بينهما وبين الهواء المندفع من الرئتين ، إلى درجة أنّ سهولة انسياب الهواء تقارب بشكل كبير سهولتها في حالة التنفس العادي . لكن : ما هو مصدر الصوت الذي نسمعه مع الحروف المهموسة ؟

إنّ مصدر الصوت هنا في الحروف المهموسة هو الحلق أو الفم . أي أنّ أصواتها تنتج من مخارجها ذاتها ، غير أنّه مع المهموس لا يعتمد له مثل الاعتماد مع الجهر ، ولذلك يخرج الصوت من الفم ضعيفا . فهناك ذبذبات صوتية مع كل من المجهور والمهموس . غير أنّ مصدر الذبذبات في المجهورات هو الحنجرة . على حين أنّ مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم ، وتضخمها الفراغات الرنانة . ولكنها ذبذبات ضعيفة ليس لها أثر قوي في السمع ومن هنا جاء خفاؤها أو همسها [09] .

فالهمس يحدث وفق المراحل الآتية :

1 -ضعف الاعتماد .

يحدث هذا في نفس الوقت

2 - جريان النفس على طبيعتها

كيف نميّز الصوت المهموس ؟

الهمس عكس الجهر ، وبالتالي لا نحس بحركة الأوتار الصوتية عند وضع أصابعنا على تفاحة آدم حال النطق بالحروف المهموس .

أما الطريقة الثانية التي أوردها سيبويه ، فهي أنّ المهموس يمكن ترديده خلال جرى النفس ، بعكس المجهور الذي لا يمكن ترديده، إلا بالاعتماد على حركة طويلة أو قصيرة . فبإمكاننا النطق بحرف << الهاء >> باستمرار دون انقطاع ، وذلك مع جريان النفس دون الاعتماد على حركة . فنسمع في هذه الحالة : (هــ هــ هــ هــ هــ ...) [27] .

الشدة (l'occlusion)

قال سيبويه :<< ومن الحروف (الشديد) وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو : الهمزة ، القاف ، الكاف ، الجيم ، الطاء ، التاء ، الدال ، الباء >> [27] ، فلو قلت :<< الحقّ ، الشطّ . ثم رمت مد صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا >> [16] .

الشدة = منع جريان الصوت

وهذه الحروف هي التي يسم يها المحدثون بالحروف الانفجارية [09] ، حيث يحدث نتيجة حبس الصوت حبسا آنيا إثرالتقاء طرفي المخرج لحظة حدوث الحرف . فإذا سمح له بالمرور فجأة سُمعَ له انفجارًا . كما خالفوا سيبويه في حرف الجيم بذهابهم بأنه صوتٌ متوسط يجمع بين الشدة والرخاوة وليس حرافًا شديدً ا [23] . ويمكن أن نلاحظ هنا التشابه القائم بين صفة الجهر وصفة الشدة . فكلاهما قائم على مبدأ الحبس أو المنع ، نتيجة قوة الاعتماد في الموضع .

الجهر = حبس الهواء (الحنجرة) .

الشدة = حبس الصوت .

فالأصوات الشديدة أصوات وقتية آنية ، لا يمكن التغني بها وترديدها . لأنّها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء [23] .

الرخاوة (constriction)

قال سيبويه :<< ومنها الرخوة وهي : الهاء ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والثاء ، والذال ، والفاء ، ذلك إذا قلـــــت

<<الطس >> و << أنقض >> وأشبه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت >> [27] . وهذه الحروف هي التي يسميها المحدثون بالحروف الاحتكاكية [09] .وهم يصنفون حرف الضاد ضمن الحروف الشديدة ، على اعتبار أنّ نطقها قد تطور من الرخاوة إلى الشدة . وأنّه لا يوجد اليوم حرف الضاد مطابقا للضاد القديمة [23] .

الرخاوة = جريان الصوت

فالرخاوة صفة ضد الشدة (جريان الصوت / عدم جريان الصوت) . والحرف الرخو ينتج عند تضييق مجرى الهواء في نقطة معينة . لأنّ التقاء عضوي الإحداث هنا يكون التقاء غير محكم ، مما لا يحول دون تسرب الصوت الصادر من الحنجرة في حالة الجهر ، أو الناتج عن احتكاك الهواء بالمخرج ذاته في حالة الهمس .

ويمكن ملاحظة ما لاحظناه في صفة الشدة ، في كون آلية حدوثها مشابهة لآلية حدوث الجهر ، فكذلك الرخاوة تشابه الهمس هنا .

الهمس = جريان النفس

الرخاوة = جريان الصوت

التوسط :

صفة التوسط هي صفة بين الشدة والرخاوة، حيث يتم منع الهواء منعا جزئيا لا كليا والحروف التي تتصف بهذه الصفة تسمى عند المحدثين بالحروف البينية أو الحروف المائعة (liquide) [29] وقد أدرك سيبويه هذه الصفة في حرف واحد وهو العين ، يقول : << فأما العين فبين الرخوة والشديدة >> [27] . أما ابن جني فذهب إلى أنّ صفة التوسط لا تقتصر على العين فقط . بل تشمل ثمانية حروف وهي الألف ، العين ، الياء ، اللام ، النون ، الراء ، الميم ، الواو [16] .

التوسط = حبس + تسريب

3.2 .مخطط يحدد مستويات: الجهر/الهمس، والشدة/ الرخاوة/ التوسط.
وذلك في الجهاز الصوتي

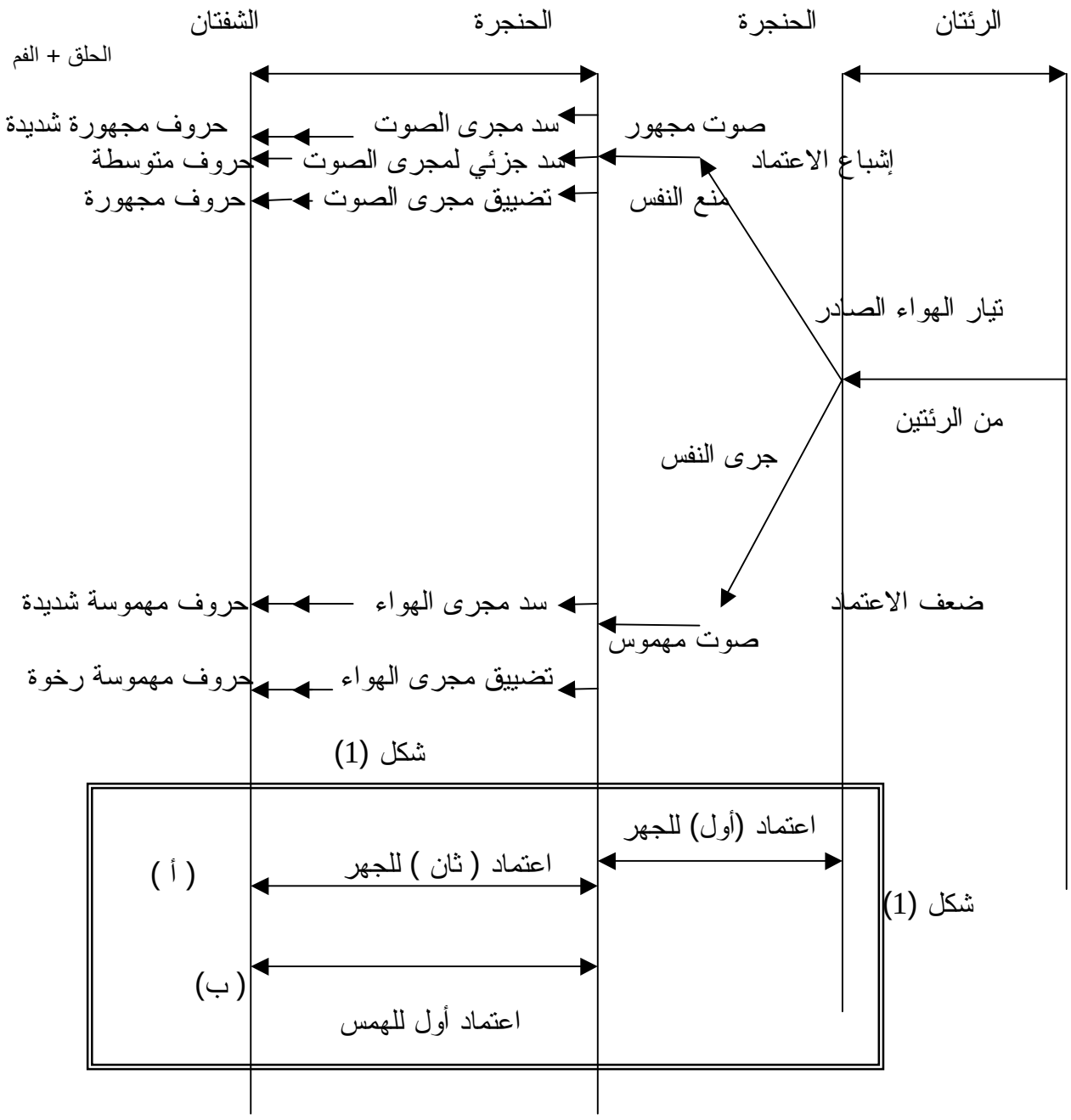

(أ) : مستوى إنتاج المجهور . ويكون ذلك في موضعين : الحنجرة + الحلق أو الفم .

(ب) : مستوى إنتاج المهموس . ويكون ذلك في موضع واحد : الحلق أو الفم .

هذا المخطط يحدد مستويات صفات : الجهر ، الهمس ، الشدة ، الرخاوة والتوسط . وهذا في الجهاز الصوتي بحسب شكل وطريقة اعتراض النفس .

فمن خلال هذا المخطط نلاحظ أنّ للجهر اعتمادين الأول يكون في مستوى الحنجرة (الأوتار الصوتية) وهو الذي يؤدي إلى صفة جهر الصوت . كما يكون له اعتماد ثان في الحلق أو في الفمْ بسد مجرى الصوت سواء كان سدا تاما أو جزئيا . وهو ما ينتج صفة الشدة أو الرخاوة وفي نفس الوقت زيادة جهر الصوت .

أما الأصوات المهموسة فإنه يكون لها اعتماد واحد في الحلق أو في الفم ، لأنّ الاعتماد لها في الحنجرة يكون منعدما والنفس الصادر من الرئتين يمر على حاله مع الحروف المهموسة .

3.2.2.2. الصفات الخاصة

أ. صفات تخص مجموعات صوتية فقط

الإطباق والانفتاح

قال سيبويه : << فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء (...) وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن ، انطبق لسانك من مواضعهن ، إلى ما حاذى الحنك الأعلى>> [27]

والإطباق هو ارتفاع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى ، حتى يكاد ينطبق عليه انطباقا تاما مما يجعل الصوت محصورا بين اللسان والحنك الأعلى وهو ما يزيد في قوته . لذلك فإنّ سيبويه عدّ الإطباق صفة قوة في الصوت تميّزه عن غيره من الأصوات المنفتحة [32]. والحروف المطبقة تسْمع لها أصواتا مفخمة emphatique والتي تتميّز بأنّها غليظة وثقيلة مقارنة بالأصوات المنفتحة [34] .

أما الانفتاح فهو عكس الإطباق تماما والحروف المنفتحة هي كل حروف العربية الأصول ما عدا المطبقة منها << لأنّك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى >> [27]

الاستعلاء والاستفال

الاستعلاء والاستفال صفتان متناقضتان . والحروف المستعلية سبعة وهي : الخاء والغين والقاف والظاء والطاء والصاد والضاد [16] ، وما سواها فهو مستفل .

ومعنى الاستعلاء هو أن يستعلي اللسان عند الـ تلفظ بهذه الحروف إلى مؤخرة تجويف الفم أي ينحو نحو الحلق . أما اللسان في حروف الاستفال فإنه يستفل نحو الحنك الأسفل [35] ، فحروف الاستعلاء هي حروف الإطباق مضافا إليها : الغين والقاف والخاء . وكل هذه الحروف تتصف بصفة التفخيم .

الصفير (Sifflante)

الصفير ينتج عن ضيق شديد في المخرج ، يؤدي إلى ارتفاع شدة الصوت الناتج عن الاحتكاك . وهي مجموعة (الصاد ، الزاي ، السين) وهي تلك التي تمتاز بالصفير ، قال سيبويه (وهنّ أندى للسمع) ولعله يقصد بقوله (أندى) : شدة وضوحهن في السمع . فالصفير على هذا صفة قوة في الصوت تميّزه عن غيره من الأصوات [32] .

الغنّة (nasalité)

وتشمل هذه الصفة حرفين هما (الميم والنون) . والحرف الأغن << يجري معه الصوت من الأنف . فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنّك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت>> [27] .

الاستطالة والتفشي (Chuintante)

معنى الاستطالة أنّ الصوت يشغل من اللسان مساحة كبيرة ، تصل مخرجه بمخرج صوت آخر يجاوره وهو المعنى الذي تؤديه كلمة التفشي [32] ، ويمتاز بهذه الصفة حرفان هما : (الضاد ، الشين) لأنّ هواء النفس معهما لا يقتصر في تسربه إلى الخارج على مخ رجهما ، أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين في حالة النطق بهما . بل يتوزع على كامل جنبات الفم [09]

اللين (semi-voyelles)

ويتميّز بهذه الصفة حرفان هما (الواو ، والياء) . نظرا لاتساع مخرجيهما << ...مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما ...>> [27]

أ. صفات تخص أصواتا مفردة

الانحراف (latéralité)

المنحرف << هو حرف شديد جرى فيه الصوت . لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام>> [27] ،

التّكرار (vibration)

تخص هذه الصفة حرفا واحدا هو << الراء >> . << فالراء حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر فيه الصوت >> [27] ، وإذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر >> [16] ، وينتج التكرار عند إحداث انسداد كامل ، لكنه قصير الزمن يتلوه انفتاح فانسداد ... وهكذا .

الهاوي

يتميّز بهذه الصفة حرف واحد هو << الألف >> . وتحدد هذه الصفة بالنظر إلى سعة المخرج .

<< فهو حرف اتّسع لهواء الصوت مخرجه ، أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو . لأنّك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك >> [27] أما معه فإنّ الشفتين تكونا منفتحتين انفتاحا كليا. كما أنّ الحنك الأعلى يكون مبتعدا عن الحنك الأسفل ابتعادا كبيرا نسبيا.

الفصل 03
الإنسجام بين حروف المباني

تمهيد:

تتميز بنية الكلمة العربية بحركية داخلية، تتمثل في التفاعلات الصوتية بين وحدات بنائها . حيث يقترب بعضها من بعض مرة ، ويبتعد مرة أخرى، ويتجاذب تارة، ويتنافر تارة أخرى.

ففي بنية الكلمة المفردة تعتبر حروف المباني (الصوامت)للبنات الأساسية في بنائها . هذه الحروف في تراكبها فيما بينها، وفي انضمام بعضها إلى بعض لتشكيل الكلمة ،لا تأتلف جميعها فيما بينها في كل الأ حوال. فهناك ما يأتلف مع كل الحروف وهناك ما يأتلف مع بعض دون البعض الآخـــر. وفي الحالة الأخيرة يخلق نزاعا ما بين التي لا تأتلف بعضها بعضا، إذ يسعى كل واحد منها إلى البحث عن استقراره وسكونه، إما بالتأثير على الحرف الجار له وجعله يتصف بمواصفاته وخصائصه ومن ثم يمكن أن يقبل مجاورته، وإلاّ فإنه يحاول التخلص منه ، إما بإبعاده من الجوار أو بإسقاطه نهائيا من البنية .وهذا ما يتمثل في الدراسات الصوتية، في ظاهرتي التقريب والتبعيد الصوتيين، اللتين تعتبران ذات أهمية في تحقيق الاقتصاد اللغوي . من خلال بعض الآليات الصرفية التي نحاول التطرق إليها، بتحديدها وذكر بعض الأمثلة عنها. كما سنرى في هذا الفصل.

1.3.التقريب الصوتي

سبق وأن ذكرنا الصفات الفارقة للأصوات اللغوية العربية . وقلنا أن هذه الصفات تتحدد عندما ننظر إلى الصوت اللغوي منعزلا خارج السياقأي تحقيق الصوت وفقا لمقتضيات الـ نظام الصوتي للغة العربية، باعتباره وحدة صوتية قائمة بذاتها، ولها صفاتها التمييزية التي تجعلها في قيمة خلافية مع غيرها من الأصوات اللغوية. هذا بالإضافة إلى تميّز مخرجها.

غير أنه،وكثيرا ما يتطلب الوضع اللغوي تجاور بعض الأصوات بينها تنافر صوتي في الكلمة الواحدة، فيثقل على الجهاز الصوتي تناولها بدقة ووفاء ،فيتناولها بضروب من التعديل والتبديلليقرّب بعضها من بعض، ويقيم بينها قناة مشتركة تيسر الجريان الصوتي .إنها نزعة

العناصر المتنافرة لشدة التباعد أو شدة التماثل إلى التقارب >> [07] لإحداث نوع من الانسجام والتوافق الصوتي ، سواء أكان على مستوى المخارج أم على مستوى الصفات.

فإن التقى في سياق الكلام Chaîne parlée التقاء مباشرا صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا، حدث بينهما شدّ وجذبّ ،كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر إ لى ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلّها، أو في بعضها فقط [09] ، وبالتالي اقترابه منه.

1.1.3.مفهوم التقريب

التقريب لغة

<< قر'ب القرْب' نقيض البعْد. وقرب الشيء بالضم يقرب قربانا أي دنا فهو قريب (...) والتقارب ضد التباعد >> [12] .

التقريب اصطلاحـــا

أ.عند اللغويين القدماء

لم يكن مصطلح التقريب متداولا بكثرة عند اللغويين القدماء ، بل نجدهم قد استعملوا مصطلحات عدة للتعبير عن ظاهرة التقريب.

فسيبويه تعرض لها تحت مصطلح << المضارعة>>، وعقد لهذا بابا تحت عنوان : << الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه ، والحرف الذي يضارع ذلك الحرف وليس من موضعه>> [27] ، والمضارعة في اللغة :<< المشابهة ، والمضارعة للشيء أن يضارعه كأنه مثله أو يشبهه ... فالمضارعة المشابهة والمقاربة >> [12] ، فهي إذن تقريب حرف من آخر مجاور له ليضارعه في الصفة وفي المخرج، أو في أحدهما.

كما استعمل سيبويه مصطلح التقريب كذلك . فيقول مثلا: << فإن كانت السين في موضع الصاد وكانت ساكنة، لم يجز إلاّ الإبدال إذا أردت التقريب...>> [27] ، كما سماها الزمخشري في مفصله بـــ : " التجانس الصوتي" ابن يعيش فأطلق عليها عدة مصطلحات : التجانس،

التماثل، التناسب الصوتي، التشاكل الصوتي . أما ابن الحاجب فقد سماها في شافيته بـــ : المناسبة [11] .

وكذلك بالنسبة إلى رضي الدين الاستراباذي، الذي استعمل تقريبا نفس مصطلحات سيبويهفقال على سبيل المثال : << السين حرف مهموس، والدال مجهور، فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه ولا سي ما إذا كانت الأولى ساكنة، لأن الحركة بعد الحرف وهي جزء حرف لين، حائل بين الحرفين فقربوا السين من الدال بأن قلبوها زايا...>> [36] .

ب- عند المحدثين

إن مصطلح التقريب بالذات لا نجده متداولا بكثرة في الدراسات الحديثة . فما نلاحظه عند علماء اللغة المحدثين، استعمالهم لمصطلحات أخرى : كالمماثلة Assimilation. وكذلك مصطلح الانسجام الصوتي cohérence phonétique. والمماثلة لغة :<<تعني المشابهة فيقال : هذا مثله كما يقال يشبهه قال ابن بري الفرق بين المماثلة والمساواة ، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس، والمتفقين. لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص،أما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين >> [12] .

وقد عرف رمضان عبد التواب المماثلة :<< هي تأثر الأصوات بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ، فيحدث عند ذلك نوع من الانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات، ويكون ذلك تيسيرا لعملية النطق>> [37]

أما مصطلح الانسجام الصوتي فنجده عند إبراهيم أنيس . يقول: في حديثه عن تأثر الأصوات بعضها ببعض في السياق <<يمكن أن يسمى هذا التأثر بـ الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة>> [09] ،كما نجده عند أحمد مختار عمر، حيث يقول : << كذلك تحدث الخليل عما يسمى بالانسجام الصوتي قلب السين صادا في كلمة السويق >> [38] .ولعل توظيف مصطلحي : المماثلة والانسجام الصوتي عند المحدثين للدلالة على : التقريب الصوتي هو غير دقيق إلى حد بعيد.

فمصطلح المماثلة يعني كما ذكرنا التطابق والتساوي التام بين الحرفين من جميع الجوانب، وهو مالا يكون في حالة المماثلة الجزئية والتي تقابل : التقريب التجانسي.أي أنه يكون هناك تماثل جزئي بين الحرفين، بالتطابق في بعض الصفات دون الأخرى .وهذا غير مقبول . فإما أن يكون هناك تماثل ، ويكون تاما. وإما لا يكون بتاتا.

أما مصطلح الانسجام الصوتي فدلالته أوسع من دلالة المماثلة . ولا يقتصر على أوجه الاتفاق والتشابه بين الحروف، بنزوعها إلى التماثل. بل قد يتعدّاها إلى حالات التخالف بين الحروف المتماثلة، وهذا ما سنراه في ما بعد.

2.1.3. سبب حدوث التقريب

سبب حدوث التقريب بين الأصوات اللغوية، يعود أساسا إلى صفة القوة التي يمتلكها الصوت المؤثر،هي صفة ذاتية لا يمكن أن يتنازل عنها في جل الأ حوال.<< والصفات الذاتية التي تجعل الصوت قويا، يمكن تقسيمها إلى صفات قوة لا يمكن التنازل عنها وهي : الاستطالة، التكرير، الصفير، الغنة، المد واللين . وصفة قوية يمكن التنازل عنها أحيانا، وهي الإطباق >> [32] ، أما بقية الصفات العامة الأخرى : الجهر ،والهمس، الشدة ،والرخاوة. فلا يمكن اعتبارها صفة قوة في الصوت، حتى وإن كانت في حالات عديدة تجعل من الصوت صوتا قويا، لا ينزع إلى التماثل مع غيره، وغيره ينزع إلى التماثل معه .إلاّ أن حركية التأثير الصوتي effet sonore تتم في اتجاه أو آخر ، أي تأثير السابق في اللاحق أو تأثر الـ سابق باللاحق ، باعتبار موقع الصوت المسيطر أو الأكثر قوة، إذا كان موجودا في الخلف أو موجودا في الأمام.

ومادام أن صفة القوة التي تجعل من الحرف أكثر استقرارا ،وأكثر صمودا ،أو مقاومة في السياق يمكن تحديدها مسبقا وطبقا لدراسة النظام الصوتي للغة .فإنه يمكننا التنبؤ بالوجه الذي تتم به ظاهرة التقريب<<لأنها تخضع لقانون واحد دوما وهو قانون الأقوى>> [32] .

3.1.3. أنواع التقريب

التقريب نوعان: تقريب مطّرد،نفس السبب يؤدي إلى نفس النتيجة . وهناك تقريب غير مطرد (لهجي)،الذي يمكن رصده في بعض اللهجات العربية دو ن الأخرى. وسنقتصر في بحثنا هذا على بعض ظواهر التقريب المطردّ لإبراز آليات التقريب الصوتي وأشكاله

4.1.3. آلــية التقريب

يحدث التقريب على مستوى الجهاز الصوتي، باستباق "anticipation" أعضاء النطق عند النطق بالحرف، إلى اتخاذ الوضعية التي يتطلبها نطق حرف موال لـ ـه. أو إلى تباطؤ هذه الأعضاء في مغادرة وضعية الحرف المنطوق، لاتخاذ الوضعية الضرورية للحرف الموالي .لذا فإن التقريب يحدث في الغالب بين حروف متقاربة الخصائص [39] .

5.1.3. أقسام التقريب

ينقسم التقريب بين الحروف الصوامت إلى قسمين، بحسب درجة تأثر الصوت في السياق، فقد يكون تأثر الصوت بصوت آخر كاملا إلى درجة أن يفقد الصوت المتأثر وجوده كليا ، ويصبح صوتا آخرا مطابقا للصوت المؤثر فيه .ويسمى هذا تقريبا تماثليا . حيث ينتج عنه في الغالب عملية إدغام الصوتين المتماثلين وذلك نحو : ادّعى.فأصلها: ادتعى.فهنا حدثت عملي ة مماثلة كلية بتحول تاء (افتعل) إلى دال. فصار: اددعى ثم أدغمت الدال في الدال . فصار لدينا: ادّعى. وهذا ما سماه ابن جني << بالإدغام الأكبر >> [01] ،وقد يكون التأثر جزئيا، إذ يتحول الصوت في السياق إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي يجاوره، بأن يفقد صفة أو أكثر من صفاته كالجهر، أو الهمس، ويكتسب صفات جديدة تكون القاسم المشترك بينه وبين الصوت المجاور له . ويسمى هذا تقريبا تجانسيا، وهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدْغام يكون هناك . وهو ما سماه ابن جني << بالإدغام الأصغر >> [01]ويكون هذا في الحروف الصو امت. كما يكون في الحركات أو الصوائت .ومثل هذا قلب تاء صيغة (افتعل) من الفعل: "زان" دالا. لتتناسب مع حرف الزاي المجهور قبلها فنقول : " ازدان ". بدل من أن نقول " ازتان ". فوقعت هنا عملية إبدال الدال من التاء .

وسنعرض لهذا بشيء من التفصيل فيما يلي :

1.5.1.3. التقريب التماثلي

الإدغام(Géménation) *

الإدغام لغة : <<هو إدخال الشيء في ا لشيء . يقال أدغمت اللجام في فم الدابة، أي أدخلته في فيها . وأدغمت الثياب في الوعاء أدخلتها فيه >> [28] .

الإدغام اصطلاحا : <<هو إخراج الصوتين من مخرج واحد،دفعة واحدة، وباعتماد تام >> [36] أو<<هو الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل >> [40] أو <<هو أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله ،من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة>> [41] ،هذا عند القدماء.

والمفهوم نفسه نجده تقريبا عند المحدثين الذين يجمعون على أنّ الإدغام هو نطق الحرفين المتماثلين دفعة واحدة، بغير فاصل بحركة أو صامت وذلك نحو : شدّ في: شدْد . ولا يتهيأ لك ذلك، إلا إذا كانا متلاصقين، وأولهما ساكن وثانيهما متحرك [10] .

فالإدغام ظاهرة من ظواهر التقريب الصوتي، هدفها الأول الاقتصاد في الجهد العضلي، وطلب الخفة، سواء كانت خفة إعرابية ،أو خفة صوتية .

والخفة الإعرابية هي حذف الحركة الإعرابية من آخر الكلمة المدغمة، أما الخفة الصوتية فهي إشاعة الانسجام بين الأصوات المنطوقة [32]بل هو في حد ذاته <<اختصار للزمن واقتصاد فيه ، بإزالة اللحظة الزمنية التي يتطلبها تحقق الحرف الساكن أو الحرف الأول>> [07] .

---

* الادغام تبعيد صوتي وليس تقريبا لانه ناتج عن صعوبة النطق بحرفين متماثلين أولهما ساكن و ثانيهما متحرك فنباعد بينهما بنطقهما حرفا واحدا بغية التبعيد . و قد صنفناه هنا ضمن ظواهر التقريب باعتبار الظاهر و الشكل (ادغام حرف في حرف) لانه في الاصل تقريب غايته التبعيد .

1. أضرب الإدغام

الإدغام في الكلام على ضربين . الأول أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون معها الإدغام فيدغمان . والثاني أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فيدغمان بعد قلب أحدهما إلى جنس الآخر .

1.1. إدغام المثلين : assimilation des identiques

ويشترط فيه أن يكون المثلان متجاورين تجاورا مباشرا، دون فاصل بينهما ولو بحركة فإن كان الأول ساكنا والثاني منهما متحركا، أدغمت مباشرة نحو : مدْد ، مدّ . وإن كانا متحركين أسكنت الأول وأدغمته في الثاني نحو : جعل– لك جعلّك [28] ، وهذا ما نلخطه في المخطط التالي :

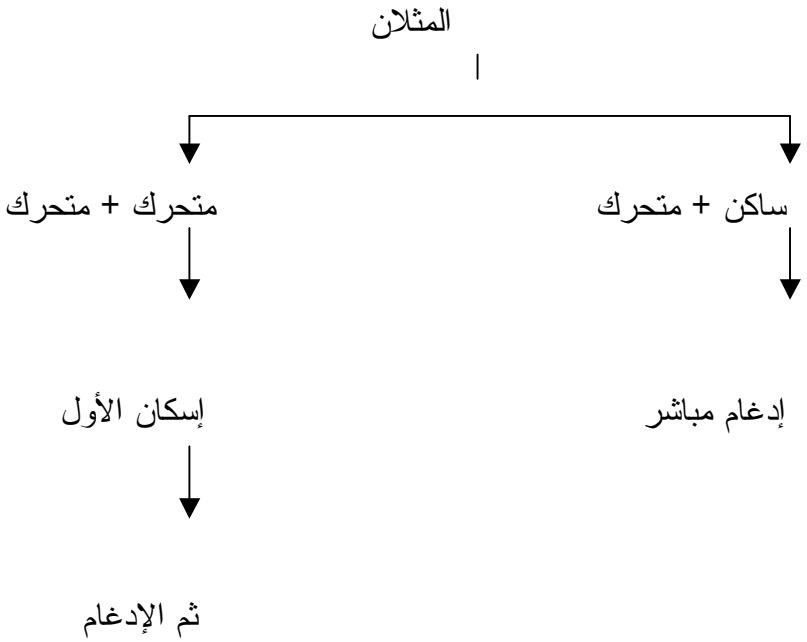

2.1. إدغام المتقاربين assimilation des proches

<< المتقاربان هما الصوتان اللذان اتفقا مخرجا واختلفا صفة ، أو اختلفا مخرجا واتفقا صفة>> [10] ،و<< الحروف المتقاربة في الإدغام كالأمثال ، لأنّ العلة الموجبة للإدغام في المثلين موجودة في المتقاربين ، إذ قربت منها . وذلك لأن إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه، كإعادته إلى نفس الموضع الذي رفع منه ، ولذلك شبه بمشي المقيّد>> [28]

فإذا التقى المتقاربان أولهما ساكن والثاني متحرك ، فلابد من قلب الأول إلى الحرف الثاني ، ثم تدغم . لأن الإدغام أن تجعل الحرفين كحرف واحد . أما إذا كان الحرفان المتقاربان متحركين ، فلا بد أن تقوم بتسكين الحرف الأول أولا ، ثم قلبه إلى الحرف الثاني ثانيا ثم القيام بعملية الإدغام في المرحلة الثالثة [28] .

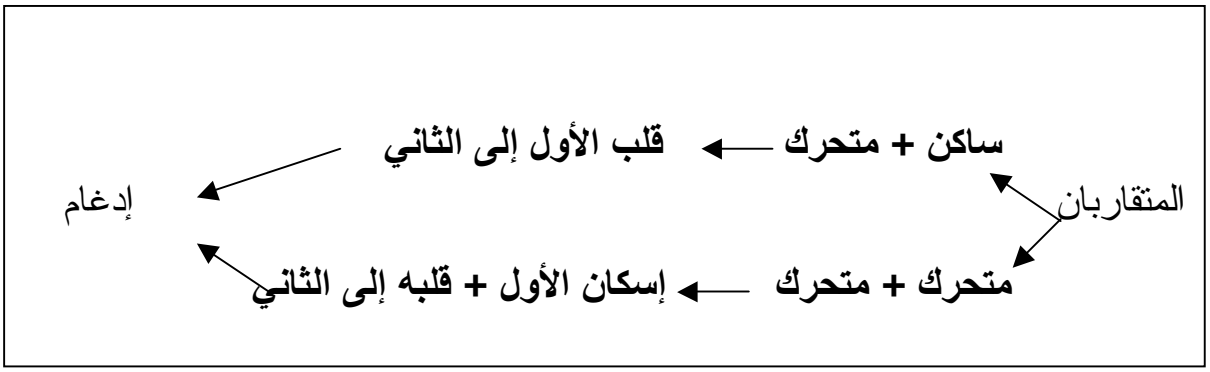

وقد يحدث غير هذا وغير ذاك، فيتحول كلا المتقاربين إلى صوت آخر يقاربهما صفة أو مخرجا، ويدغم أوله في ثانيه نحو : معهم ← محْحم ← محّم . ومن هذا أيضا إبدال كل من الذال وتاء الافتعال دالا ،على نحو : اذتكر ← اذّكر .

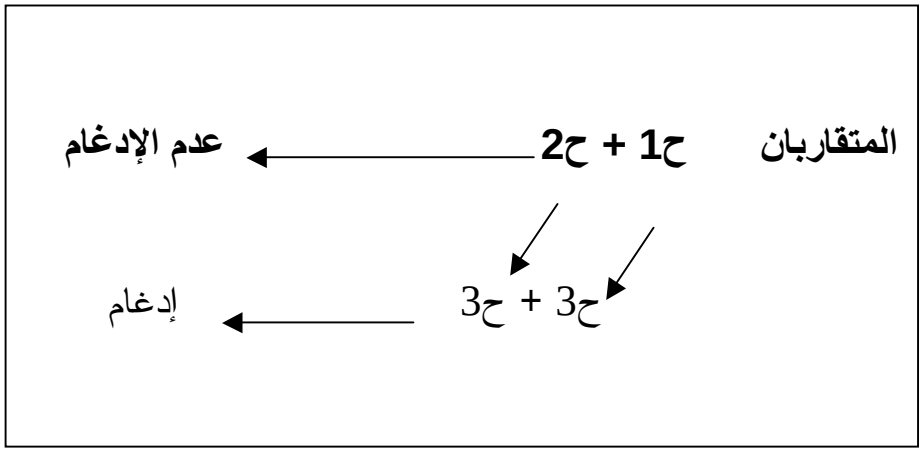

إدغام المتقاربين في اللفظ المفرد

يرى ابن يعيش، أن الإدغام في الحروف المتقاربة المخرج في الصيغة المفردة أو اللفظ المفرد، قليل جدا مقارنة مع كثرته في ا لمنفصل أي بين كلمتين).وذلك لتجنب الالتباس بالمضاعفلذلك لم يقولوا في الفعل من نحو : وتدْ، يتد: ودّ، ّويدّ. أي عدم حصول إدغام التاء في الدال لا يتوهم أنه فعل من تركيب (ودد) فيصير كأنه من المضاعف [28] <ألا ترى أنهم قالوا :

(إمّحى) الشيء.فأدغموه حين أمنوا الالتباس، لأن هذا المثال لا يضاعف فيه الميم . قال سيبويه : وسمعت الخليل يقول في :انفعل، من وجل :اوّجل كما قالوا امحّى >> [28] ،والنتيجة هو أنه يمتنع إدغام المتقاربين في اللفظ المفرد، كلّما أدى ذلك إلى اللبس والإبهام.

1.2.1.إدغام المتقاربين في المخرج

ليست الحروف المتقاربة المخارج يدغم بعضها في بعض . فهناك حروف لا تقبل الإدغام بتاتا، سواء فيها، أو هي في غيرها . وهناك حروف لا تدغم في غيرها، ولكن غيرها يدغم فيها ، وهذه الحروف هي التي تمتلك صفة القوة . سواء كانت هذه القوة تمنحها لها الصفة في حد ذاتها، أو يمنحها لها المخرج كما سنرى، وهناك حروف يدغم بعضها في بعض وهي في الغالب حروف الفم.

أ. حروف لا تقبل الإدغام

وهذه الحروف لا تدغم في غيرها ، وغيرها لا يدغم فيها وهي : <<الهمزة، الألف، الواو، الياء>> [27]، أما الهمزة فتخفيفها لم يكن بواسطة الإدغام وإنما يكون :<< بالتغيير والحذف. وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التخفيف >> [27]،ويقصد سيبويه بالتغيير : القلب والإبدال والتسهيل [11] أما الألف فلا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه >> [27] ،أما الواو والياء فإنهما كذلك لا يدغمان مع ما قاربهما، حتى وإن سبقت الياء أو الواو بفتحة، ويعلل سيبويه ذلك بقوله : <<لأن فيها لينا ومدا>> [27]،<< لئلا يذهب المد بسبب الإدغام >>[40]

ب. الإدغام في حروف الحلق. وقوة المخرج

حروف الحلق هي :(الألف، الهاء، الهمزة، العين، الحاء، الغين، الخاء)، يقول ابن يعيش في شرحه للمفصل : <<فما كان منها أدخل في الحلق لم يدغم فيه الأدخل في الفم (...) وذلك من قبل أن الحرف إذا كان أدخل في الحلق وأدغم فيما بعده، كان في ذلك تصعد في الحلق إلى الفم . وإذا عكس ذلك، كان ذلك بمنزلة الهواء بعد الصعود والرجوع عكسا >> [28] ،فالحرف الأقصى مخرجا يدغم في الأدنى مخرجا، والأدنى مخرجا لا يدغم في الأقصى مخرجا . وهنا الأمر يشبه إلى حد بعيد انزلاق الحركات واقترابها نحو بعضها . فالفتحة تنزلق نحو الضمة ونحو الكسرة والضمة تنزلق نحو الكسرة . لكن لا الضمة، ولا الكسرة ، تمكنها أن تتراجع نحو الفتحة خلا حالة واحدة

وهي تراجع الكسرة نحو الضمة ، ووجه الشبه بينهما أن كلا الحالتين، التحرك يكون فيهما وفقا لاتجاه خروج هواء الزفير.

وهذا ما جعل حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها، وإن كان الإدغام فيها عربيا حسنا لقرب المخرجين على حد تعبير سيبويه [27] ،نحو: (اجبه حملا ←——— اجبحّملا).

ج. حروف لاتدغم في غيرها لقوة في صفتها

وهي الضاد والميم، والراء، والفاء، والشين .<< لأن هذه الأحرف فيها زيادة على ما قاربها في الصفة فإدغامها يؤدي إلى الإجحاف بها، وإبطال ما لها من الفضل على ما قاربها >> [28] فالضاد فيها استطالة ليست في شيء من الحروف .والميم فيها غ نة ليست في الباء، والشين فيها تفشٍّ واسترخاء، ليس مثله في الجيم،والفاء فيها تأفف . والراء فيها تكرير ليس في اللام [28] ،وهي صفات قوة تمنع إدغام هذه الحروف فيما يقاربها، في حين أن الحروف المقاربة لها تدغم فيها، لأنها أكثر ضعفا وأكثر وهنا وهذا ما يدل على أن صفة الأكثر قوة في الحرف، والتي تحول دون فنائه في غيره، يكتسبها الحرف إما من مخرجه وإما من الصفات التمييزية.

د. الإدغام في حروف الفم

يقول سيبويه: << حروف الفم أصل في الإدغام >> [27] ،وأشهر الإدغام في حروف الفم هو إدغام اللام (لام المعرفة).وتدغم هذه اللا م في ثلاثة عشر حرفا ،لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام. منها أحد عشر حرفا من طرف اللسان وهي << النون، الراء،الدال،التاء، الصاد، الطاء، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال >>. وحرفان <<يخالطان طرف اللسان وهما : الضاد، الشين>> [27] وتعرف هذه الحروف بالحروف الشمسية ، وهي كلها كما نلاحظ - محيطة بمخرج اللام، وما عداها فهي الحروف القمرية أي الشفوية منها . وهي: (الباء،الميم،الواو، الفاء). وحروف أقصى اللسان وهي (الكاف ، والقاف)والحروف الحلقية وهي :(الخاء ، الغين، الحاء، العين، الهاء، الهمزة) مضافا إليها حرف من وسط اللسان وهو: الياء.

فلام التعريف تماثل في الأداء الصوتي كل حرف من الحروف الشمسية، وتدغم فيه وإن كان ذلك لا يظهر خطا على مستوى الكتابة، وإنما في المستوى الصوتي فقط.

2.2.1. إدغام المتقاربين في الصفة

قد يدغم الحرفان بعضهما في بعض، حتى وإن تباعدا في المخرج، شرط أن يتقاربا في الصفة : نحو الواو والياء . فهذان الحرفان متفقان في المد والاستطالة، ومخرجاهما متباعدان، فأحدهما من الشفتين والآخر من وسط الفم . فإذا التقيا وكان الأول منهما ساكنا قلبت الواو ياء ، و أدغمت في الياء [28] .نحوسيّد أصلها سيْودْ ثم يقلب الواو ي اء لمجانسته الكسرة فتصبحْ : سيْيد، وتدغم الياء الساكنة في الياء المتحركة = سيّد . فحتى وإن كان الإدغام هنا بعد حدوث عدة عمليات تحويلية إلا أنّ أصل الياء الثانية " واو" .

وهو نفس الشيء في إدغام النون في الميم . نحو : من معك = ممّعك ، لأنها وإن كانت النون بين طرف اللسان وفويق الثنايا، والميم من بين الشفتين . إلا أنهما يشتركان في صفة الغنة الحاصلة فيهما من وجهة الخيشوم << فصار صوتهما واحدا >> [27] .

وأيضا يمكن هنا ذكر إدغام حروف طرف اللسان وهي : << النون، والراء، والتاء، والدال والطاء، والظاء، والذال، والـ ثاء >>في الضاد والشين .<< ذلك لأنهما وإن لم تكن من مخرجها، إلا أنها تخالطها، لأن الضاد استطالت لرخاوتها والشين لما فيها من تفش " فالتحقت بحروف طرف اللسان، فلما خالطتها ساغ إدغامهن فيها >> [28] ، وهنا نجد مسوغ التقارب هو مسوّغ الصفة ، وليس مسوغ المخرج، ذلك أ نّ حروف طرف اللسان من جهة، والضاد والشين من جهة أخرى، متباعدة في المخارج كل البعد .

والتفسير الوحيد الذي يمكن أن نقدمه هنا هو أنّ حروف طرف اللسان ، تأثرت بصفتي التفشي والاستطالة اللتن تمثلان صفتي قوة قبل الإدغام . ومن ثم ساغ إدغام حروف طرف اللسان في الشين والصاد .

ملاحظات ونتائج

1. الإدغام يكون في المثلين كما يكون في المتقاربين، ومن شروط هذا الأخير أن يتقارب الحرفان في المخرج أو في الصفة .

2. يكثر الإدغام بين حروف الفم ، فحروف الفم كما قال سيبويه أصل الإدغام .

لا3يتم الإدغام بين حروف اللسان وحروف ا لحلق، وربما كان ذلك راجعا إلى التباعد في المخارج .

4. الحرف الأقوى لا يدغم في مجاوره و مجاوره يدغم فيه ، وصفة القوة يكتسبها الحرف من الصفات التميزية ، أو من المخرج . فالأقرب مخرجا إلى الفم هو الحرف الأقوى .

الإدغام من ظواهر الاقتصاد اللغوي ،في كونك تتـ فادى التكرار الذي يتعب أعضاء النطق فبدل أن تنطق بحرفين متتابعين من مخرج واحد، فإنك تنطق بحرف واحد مع إطالة حبس النفس لإظهار أن هناك حرفين مدغمين

2.5.31.3. التقريب التجانسي

الإبدال

1. مفهومه

لغة : << نقول أبدلت الشيء بغيره (...)وتبديل الشيء بغيره، وإن لم تأت ببدل (...) فهو تغيير الشيء عن حاله (...) والأصل في الإبدال : جعل شيء مكان شيء آخر>> [12] .

اصطلاحا : الإبدال عند اللغويين :<<هو إقامة حرف مكان حرف آخر، مع الإبقاء على سائر الأحرف المتبقية في الكلمة >> ،[32]ويكون هذا بين الحروف الصحيحة كما يكون بين حروف العلة .

والإبدال الذي نقتصر عليه في بحثنا – وهو الذي يخصنا – هو الناتج عن التفاعلات الصوتية في سياق الكلام، نتيجة تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند تجاورها في الكلمات، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات المحيطة بها في الكلام، فيحدث بذلك نوع من التوافق والانسجام [42] ،دون أن يتبع بإدغام . وإن كان في بعض الحالات يتبع بإدغام كما سنرى ولو أنّ هذا قليل .

<<الإبدال في جوهره تقريب جزئي >> [13] ، و<< كلما تدانى الحرفان أسرع انقلاب أحدهما إلى صاحبه وانجذابه نحـ وه>> [01] ، فيتماثلان في الجهر، أو الهمس،وفي الانفتاح ، أو الإطباق، وفي الاستعلاء، أو الاستفال، بل حتى في مجرى الصوت .

فالتقريب التجانسي هنا، يكون في بعض صفات الحرفين . ليتجانسا معا في التركيب وهذا ما سنوضحه في الأمثلة الآتية:

2. التماثل في صفات

2.أ. الجهر والهمس

<< إذا اقتضت صيغة من الصيغ، أن يتجاور صوت مجهور مع صوت مهموس مجاورة مباشرة، يجب أن يقلب أحدهما ،بحيث يصبح الصوتان إما مهموسين وإما مجهورين >> [09] ، فمتى كانت فاء صيغة (افتعل) زايا، قلبت تاء الصيغة دالا [28] ، لمجانسة الدال للزاي في صفة الجهر فنقول في: ازتجر و ازتهر وازتان: ازدجر وازدهر وازدان.

والعلة في هذا أن كلا من :الزاي، والدال، والذال .كلها حروف مجهورة . في حين أن التاء مهموسة، فجيء بحرف بدل التاء، يشترك مع هذه الحروف المجهورة في صفة الجهر، ويشترك مع التاء في المخرج، فكان ذلك حرف الدال [40] ،وهو فهم داع لهذا الضرب من التماثل، فعند تجاور الزاي المجهور والتاء المهموس، تجاذبا النزاع ومالا إلى توفير نوع من الانسجام بينهما.

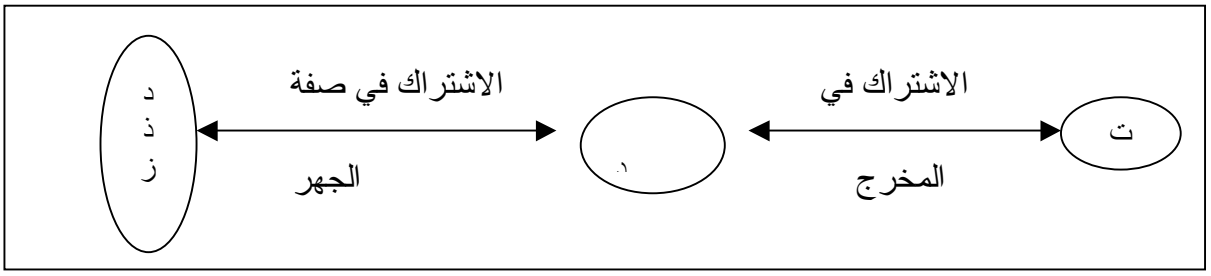

فوجه الفرق بين الدال والتاء ،هو صفة الجهر فقط في الدال، في حين أن التاء نظيره المهموس << فلولا جهر الدال لكانت تاء >>[28] وقد تطرق سيبويه لهذه المسألة في كتابه في باب :<< الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يـ ضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه >>. ممثلا لذلك بالصاد الساكنة إذا كان بعدها دال فنقول في : مصْدر: مزدر. أي ابدال الزاي من الصاد

فالزاي يوافق الدال في الجهر والانفتاح عكس الصاد المهموس المطبق وهو ماذهب إليه بقوله <<فجعلوا تابعا للآخر، فضارعوا به أشبه الحـ روف بالدال من موضعه وهي الزاي لأنها مجهورة غير مطبقة >> [27] ،وذهب ابن يعيش الى أن هذا جائز وليس بواجب . فيمكن أن نجعلها زايا خالصة، ويمكن أن نبقي عليها صادا خالصة ويمكن أن نجعلها بين بين . أي بين الصاد والزاي [28] وذلك السين إذا وقعت قبل الدال الساكنة، أبـ دلت زايا خالصة نحو : يزدل فأصلها: يسْدل. ذلك أن السين حرف مهموس والدال حرف مجهور، << فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه ، ولم يكن الإدغام، فقربوا أحدهما من الآخـــر فأبدلوا من السين زايا لأنها من مخرجها وأختها في الصفير، وتوافق الدال في الجهر، فيتجانس الصوت >> [28] .

2.ب. الانفتاح والإطباق

هو أن يتحول حرف منفتح إلى نظيره المطبق ، نتيجة تجاوره مع حرف مطبق . وفي هذا الشأن يقول ابن جني :<< ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) صادا" أو ضادا ،أو طاء ا" أو، ظاء "ا. فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو اصطبر، واضطرب ،واطرد، اظطلم . فهذا تقريب من غير إدغام >> [01] ، باستثناء الحالة الثالثة التي تم فيها إدغام الطاء في الطاء والأصل فيما سبق أن تقول : اصتبر واضترب واطترد واظتلم على الترتيب والعدول عن الأصل في هذا نتج عن << ثقل اجتماع حرف التاء المنفتح، مع أحد الحروف المطبقة، لما بينهما من تقا رب المخرج وتضاد في الصفة (...)فأبدل من التاء حرف استعلاء من مخرجها،وهو الطاء>> [40] .

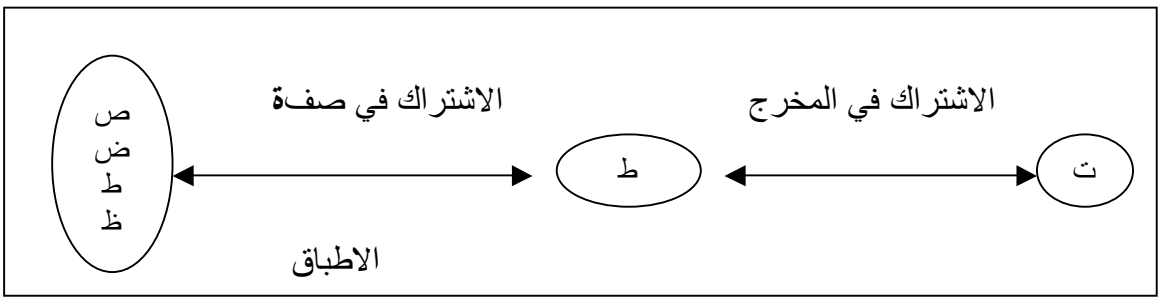

2.ج. الاستعلاء والاستفال

<< ومن ذلك ، أن السين إذا وقعت قبل غين، أو خاء، أو، قاف .جاز إبدالها صادا >> [28] . من قبل أن هذه الحروف مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستفل .<<فكرهوا الخروج منه إلى مستعل، لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صادا، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فيتجانس الصوت >> [28] ، فقولك سقر، وسغب .غالبا ما يكون اللفظ به : صقر وصغب، هذا إذا كان الاتصال بين الحرفين مباشرا . وقد يحدث نفس هذا التأثر والصوتان يفصلهما فاصل نحو : سلخ. إذْ تتأثر السين المستفلة بالخاء المستعلية ، رغم أن حرف اللام يتوسطهما. فنقول : صلخ [27] .

2.د.تغير مجرى الصـــوت

فهنا يتم تحول مجرى الهواء من الأنف إلى الفمأو. من الفم، إلى الأنف . وقد روي لنا هذا التأثر مطردا في بعض أحكام القراءات . على نحو اجتماع الباء مع الميم في مثل (اركب معنا) فنقول: اركمّعنا. فقد قلبت الباء ميما .أي أن الصوت الفم "الباء" انتقل إلى نظيره من أصوات الأنف (غنة الميم)كما اجتمعت النون واللام في :"فإن لم تفعلوا "[17] فقلبت صوت الأنف إلى أحد نظرائه من أصوات الفم وهو اللام فنقول :" فإلّم تفعلوا" [09]ومثل هذا في كلمة :عنْبرْ ، وأنباء، وينبجس...فأنت تشعر عند النطق بهذه الكلمات، أن النون قد انحرفت عن مخرجها ودخلت حيزّ الميم ، ذلك لأن النون الساكنة لها غنة في الخياشيم تنافر الباء، والميم أخت الباء في المخرج، وأخت النون في الغنة، فتحل محل النون لمجانسة الباء، مع الاحتفاظ باستطالة الغنة.

1.3.مخطط يلخص أشكال التقريب

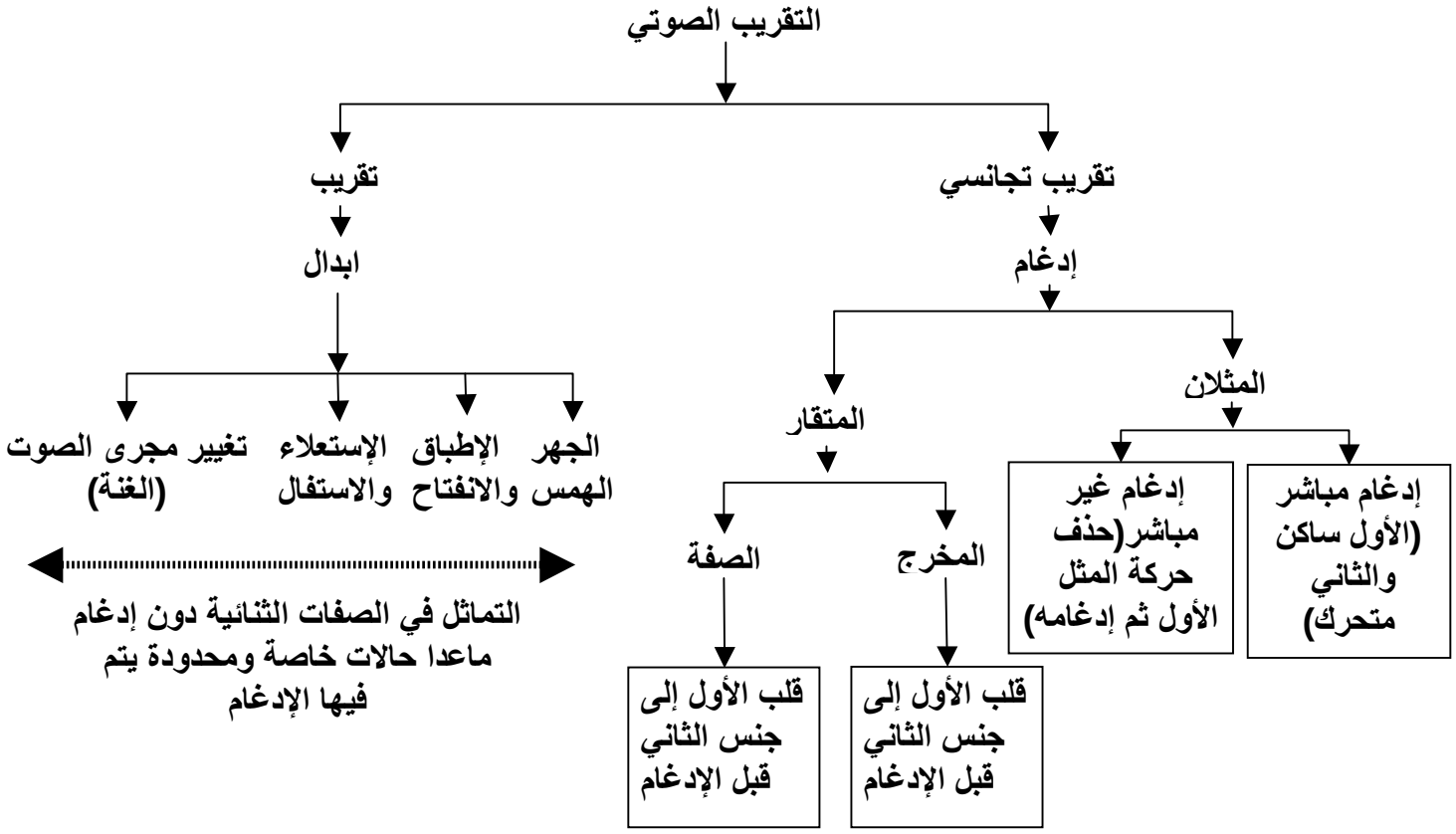

خـــلاصة

نخلص في الأخير إلى أن التقريب الصوتي له دور كبير في جعل البناء الصوتي على مستوى الكلمة المفردة ، سهل الأداء يسير النطق . عن طريق استقرار الأصوات، وخلاصها من التدافعات والتطاحنات ، الناتجة عن تنافر خصائصها الـ ذاتية ، وهو سبب عدم استقرار كثير من الأصوات إذا ما تجاورت.

كما نلاحظ أن هناك أصواتا تتأثر بشكل كلي، وسريع في الوقت نفسه . مما يؤدي إلى إدغامها في غيرها . وهناك أصوات أخرى لا تستجيب لهذا التأثر استجابة كلية ، بل تحافظ على قسط كبير من خصائصها الذاتية.

والتقرالصوتي، هو تكيف وانسجام بين أصوات اللغة . توفير للجهد المبذول ، وهذا من بين الخواص الاقتصادية للغة العربية.

2.3.التبعيد الصوتي

1.2.3. مفهومه

التبعيد لغة:<<البُعْدُ خلاف القرب(...) وبعد الرجل بالضم، وبعد بالكسْر بعْدا فهو بعيد>> [12]
اصطلاحـــا: << هو تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام، بتأثير صوت مجاور له، بزيادة مدى الاختلاف بين الصوتين >> [43]فهو ظاهرة تعاكس ظاهرة التقريب . فإن كانت هذه الأخيرة تحاول التقريب بين الأصوات فإن التبعيد يأخذ منحى آخر، وهو التبعيد بين الأصوات المتماثلة أو حتى المتقاربة في المخارج.

والسبب الجوهري لظاهرة التبعيد الصوتي، هو أن الصوتين المتماثلين إذا تجاورا في الكلمة الواحدة، يحتاجان إلى جهد عضلي زائد في أدائهما . ولتيسير هذا يقلب أحدهما صوتا آخر من تلك الأصوات ، التي لا تتطلب مجهودا كبيرا [44]وغالبا ما يكون هذا من أصوات اللين أوالأصوات البينيةالمديدة التي يجري معها الصوت)، وهي الراء واللام والنون، والميم . لقابليتها بأن تحل محل أي صوت آخر . فالغاية من التبعيد ،هي نفس غاية التقريب، وهي حصول الاقتصاد اللغوي وقد تطرق اللغويون القدماء إلى هذه الظاهرة وأطلقوا عليها ع دة مصطلحات ، نذكر منها ما أسموه: <<كراهية اجتماع المثلين >>. أو<< كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد >>أو<< كراهية توالي الأمثال>> [11] .

فسيبويه عقد لها بابا تحت عنوان : << ما شدّ فأبدل مكان اللام والياء ، لكراهية التضعيف وليس بمطّرد>> [27]ويقول في هذا الشـ أن: << اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد (...) فلم يجيء فعلل،ولا فعلل إلاّ قليلا(...) كراهية التضعيف. وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع، واحد ثم يعودوا إليها>> [27] أما المحدثون فإننا نج د تواتر مصطلح : "المخالفة" Dissimilation . هو الغالب عندهم للدلالة على مصطلح التبعيد، وإن كان مصطلح: "التبعيد" مستعملا عند بعضهم.

فالعربية تميل إلى التخلص من توالي الأمثال في الكلام ،حين يستثقل . وأنّ اجتماع الأمثال مكروه، ولذلك يفر منه المتكلم بالقلب، والحـ ذف، والفصل.وهي طرق تتم بها المخالفة الصوتية، وهذا ما يفسر لنا كثيرا من ظواهر الإبدال،والإعلال .خاصة فيما يتعلق بإبدال الهمزة من حروف العلة ، أو إبدال حروف العلة من الهمزة .

أشكال و مظاهر التبعيد الصوتي

التبعيد الصوتي يتجلى في العربية في مظاهر عدة . ولرصد بعضها رأينا أن نقسمه بهدف تصْنيفي إلى: شكلين

فالشكل الأولىكون فيه التبعيد في حروف العلة : الألف، والواو، والياء، مضافا إليها الهمزة. من ظواهر الإعلال تنتج عن اجتماع مثلين من حروف العلة . ويكون ذلك ألفين أو ياءين أو واوين أو همزتين.

أما الشكل الثاني : فيكون فيه التبعيد في الحروف الصحيحة دون حروف العلة وهذا إما عن طريق الإبدال ،أو عن طريق الحذف. وهو ما سنوضحه فيما يلي:

2.2.3.التبعيد في حروف العلة

1.2.2.3.في اجتماع ألفين

لا يمكن أن يتجاوز ألفان في سياق الكلام ، لأنه يتعذر التقاء ساكنين من جهة , ومن جهة خرىأ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحا . وهذا ما يفسر لنا بعض حالات إبدال الواو والياء همزة.

الحالة الأولى:يقول ابن يعيش :<< إذا تطرفت الياء أو الواو بعد ألف زائدة .نحو : كساء، ورداء، ونحوهما ، فالهمزة فيهما بدل من الألف . والألف بدل من الواو أو ياء (...) فوقعت الواو والياء طرفا بعد ألف زائدة : كساو ورداي. وفي هذا مأخذان : أحدهما أن لا يعتد بالألف الزائدة، ويصير حرف العلة كأنه ولي الفتحة مباشرة فقلب ألفا . والثاني أن يعتد بالألف الزائدة وتنزل منزلة الفتحة لزيادتها ،وأنها من جوهرها ومخرجها، فقلبوا حرف العلة بعدها ألفا. فصار التقدير في كلتا الحالتين:كسااا ، ورداا . فلما التقى ألفان ساكنان، وجب حذف أحدهما أو تحريكه ، فحركوا الألف الأخيرة لالتقاء الساكنين فأنقلبت همزة فصار : كساء ورداء>> [28] ، لأنه يستحيل أن تجمع بين ألفين مديتين، لأن الألف لا يكون ما قبلها إلاّ مفتوحا. وما جمع ألفين ساكنين إلاّ من باب التقدير فقط.

الحالة الثانية:إذا وقعت إحداهما عينا لاسم فاعل اعلتا فيه نحو : قال وباع. واسم الفاعل منْها: قاول وبايع.غير أننا نقول : قائل وبائع> [01] .والذي حدث هو قلب الواو والياء ألفا لنفس العلة وبنفس الطريقة في الموضع الأول ثم نقلب الألف همزة للمخالفة بين الألفين [28] .

2.2.2.3. في اجتماع ياءين

هذا الشكل هو علة إبدال الياء همزة ، للتبعيد والمخالفة وهو عكس ما تقدم . ففي كلمة لامها ياء أصلية.نحو قضيّة، وهدية .من قضي ،وهدي . فلو جمعناهما على وزن " فعايل" فإنه يكون لدينا : قضاييُ وهداييُ . لكننا نقول: قضايا وهدايا ولتوضيح التغيرات التي حدثت حتى انتقلنا من قضاييُ إلى قضايا، فلا بأس أن نذكر هذه الخطوات التي افترضها نحاتنا القدامى، والتي تعين على التصور الصحيح للمفردات العربية:

1-قضية تجمع على قضاييُ.
2-تقلب الياء الأولى همزة: قضائِيُ.
3-تقلب كسرة الهمزة فتحة: قضائَيُ.
4-تقلب الياء ألفا: قضاءا.
5-تقلب الهمزة ياء: قضايا [45] .

3.2.2.3. في اجتماع واوين

وهذه الحالة تستدعي قلب الواو همزة،على نحو صيغة المبالغة التي على وزن "فَعُول" فلو صغنا كلمتي النوم، والقول، على هذه الصيغة فيكون لدينا : نوُوم وقوُول. وهو ما ينتج عنه تراكم واوين مع ضمة، وهي كلها أصوات متماثلة يصعب أداؤها في لفظ واحد، لذلك جاز قلب الواو المتحركة همزة فنقول نؤُوم وقؤُول [07] . وهو الشيء نفسه، إذا وقع واوان في مطلع الكلمة كمؤنث اسم التفضيل : " أوّل": هو"وولى"وجب قلب أول الواوين همزة فنقول : أوُلى. وعلى هذا النحو كذلك جمع كلمة واصل جمع تكسير فينتج : وواصل"وجب قلب أول الواوين همزة فنقول : أواصل

4.2.2.3.في اجتماع همزتين

إذا التقت همزتان في كلمة واحدة، فإن الثانية منهما هي التي تعل ،لأن الثقل لا يحصل إلا بها ويكون هذا في ثلاث حالات:

أ. الأولى متحركة والثانية ساكنة

فإذا كانت الأولى متحركة، والثانية ساكنة، قلبت الثانية حرف علة من جنس حركة الأولى، فالهمزة الأولى مضمومة، فإن الثانية تقلب واوا نحو : أأ من، أومن .الهمزة الأولى مفتوحة فإن الثانية تقلب ألفا نحو : أأمن ، آمن ، الهمزة الأولى مكسورة فإن الثانية تقلب ياء مّديّة إأمان ، إيمان [46]

ب. الأولى ساكنة والثانية متحركة

وهنا لا تكونان إلا في موضع العين أو موضع اللام، لأنه يتعذر الابتداء بساكن . إذا كانتا في موضع الفاء فإذا كانتا في موضع الـ عين أدغمت الأولى في الثانية نحو : سأّال مبالغة " سأل". وإن كانت في موضع اللام أبدلت الثانية ياء مطلقا :فتقول في مثال : قمطر من قرَأ . قرأي [46] ، بدل أن تقول قِرَأأ.

ج الهمزتان متحركتان

فإن كانتا في الطرف نحوقولتا قرْأأ من بناء الفعل قرأ على وزن جَعْفَرُ ، أو كانت الثانية مكسورة نحو أإمة قلبت الثانية ياء مطلقا فتقول: قرأي وأيمّة [47] .

فإن لم تكن طرفا ،وكانت مضمومة ، أبدلتها واوا كقولك : أوبّ جمع أبّ فأصلها أأبب فأبدلت الواو من الهمزة، وأدغمت الباء في الباء [46] . وإن كانت مفتوحة وانفتح ما قبلها نحو: أأادم . أو انضم نحوأأيدم فإنك تقلبها واوا فتقول : أوادم وأويدم. أما إذا انكسر ما قبلها قلبتها ياء [46] . ومنه نستنتج أن اجتماع ألفين متجاورين، أو ياءين، أو واوين، أو همزتين ، فيه ثقل كبير . ولتجنبه يلْجأ دوما إلى العمليات الإبدالية ، التي تسقط أحد المثلين، باستبداله بأحد حروف العلة :الألف، والياء، والواو مضافا إليها الهمزةوهي عمليات إعلالية هدفها الأول التخفيف . ومن ثم الاقتصاد اللغوي.

3.2.3. التبعيد في الحروف الصحيحة

يكون التبعيد بين الحروف الصحيحة إما بإبدال بعضها من البعض ، وإما بحذفها ويكون هذا في مواضع عدة نذكر من بينها على سبيل المثال:

1.3.2.3. بالإبدال

نحو قولنا:قصّصْت، وتقضّضْت، وتمطّطت . حيث تراكمت في كل لفظة من هذه الألفاظ الثلاثة ثلاثة، أحرف متماثلة . فجعل الصوت الثالث من كل واحدة منهن، صوت لين يخالف ما قبله، ويكون أسهل في الأداء. فقيل: قصّيت ، وتقضّيت و تمطّيْت [36] .

إذا وقعت ياء النسبة متطرفة بعد الياء، وقبلها مكسور نحو : الشجيّ.فنقول عند نسبها : شجيي،توالت ثلاثة أصوات من جنس واحد . فوجبت المخالفة بقلب الياء الأولى واوا . فنقول شجوي [07]

2.3.2.3. بالحذف

ويتم الحذف في كثير من المواطن التي تتوالى فيها الأمثال. ومن أمثلة ذلك:

إذا اجتمع نون الرفع من المضارع، مع نون الوقاية يجوز الحذف لتوالي الأمثال . وقد قرىء بالحذف ، أي بنون واحدة في: قوله تعالى: << أتحاجونني في الله>> [17] ، عن نافع [18]

في اجتماع نون النسوة مع نون الوقاية .يث يجوز حذف إحدى النونين . ومن مثل ذلك قول الشاعر: << يسوء الفاليات إذا فليني ...>> ، والأصل: فليننني .

يحذف أحد الحرفين المكررين المتتابعين في المضارع المبني للمعلوم، في الأبنية الثلاثة : تتفعّل وتتفاعل وتتفعلل، وهذه الأخيرة من الرباعي الصحيح مثل تتبختر، ومن الثنائي المضاعف مثل : تترقرق [48]، يقول سيبويه :فإذا التقت التاءان في تتكلمون وتترّسون فأنت بالخيار ، إن شئت أثبتهما، وإن شئت حذفت إحداهما، وتصديق ذلك قوله عزّ وجل : <<تتنزل عليهم الملائكة >> [17] و<< تتجافى جنوبهم عن المضاجع>>[17] ، وإن شئت حذفت التاء الثانية

كقوله تعالى <<تنزّل الملائكة والروح فيها >> [17] ،وقوله :<< ولقد كنتم تمنّون الموت>> [17] ، وكانت الثانية أولى بالحذف>> [27] .

وفي قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت128هـ)من رواية حفص بن سليمان (ت180 هـ) عن عاصم ورد حذف التاء في صيغة "تتفعّل"عشرين مرة وأربع مرات غير محْذوفة . كما ورد حذف التاء في صيغة : "تتفاعل" عشر مرات، وثلاث مرات غير محذوفة [48] ، حيث تلاحظ أن حذف التاء في صيغة تتفعل، تعادل خمسة أضعاف حالات إثباتها . وحذف التاء في تتفاعل تعادل ثلاثة أضعاف تقريبا لحالة إثباتها. وهو ما يثبت أهمية الظاهرة صوتيا في اللغة العربية.

اجتماع الواو والياء التي هي عين الكلمة في اسم المفعول ، مع الواو الزائدة ، حيث تحذف إحداهما قياسا: وذلك نحو : مقول أصلها مقوول .مصون أصلها مصوون حيث حذفت الواو الثانية عند أغلب جمهور العلماء [18] .

الفعل المضْعفْ نحو : صلّ، مسّ، أحسّ. إذا أسند إلى ضمير متحرك فيجوز فيه حذف أحد الحرفين المتماثلين، فيقال ضلْت، مست، أحست [18] .

إذا التقت نون : إنّ ، أنّ ، كأنّ ، لكنّ وهي نون ثقيلة (نونان مدغمتان) مع نون الوقاية، جاز حذف إحدى النونين فيقال: إنّي، أنّي، كأنّي ، لكنّي.

والأمثلة كثيرة وكثيرة جدا ، لا يمكن حصرها أورصدها جميعا في هذا المقام . لأنّ هدفنا الأول هو إبراز أهمية ظاهرة التبعيد الصوتي في اللغة العربية، وما لهذه الظاهرة من أهمية في الاقتصاد اللغوي. عن طريق تجنب الثقل الذي ينتج عن أداء مثلين متجاورين، مع تعذر إدغامهما حيث يتخذ الجهاز الصوتي وضعيتين متتاليتين متطابقتين بتكرار الوضعية الأولى . وهو ما يتطلب جهدا زائدا، ولتجنب هذا فإنه يحذف أحد المثلين أو يقلب إلى حرف من الأحرف الليّنة نزوعا إلى الاقتصاد في الجهد .

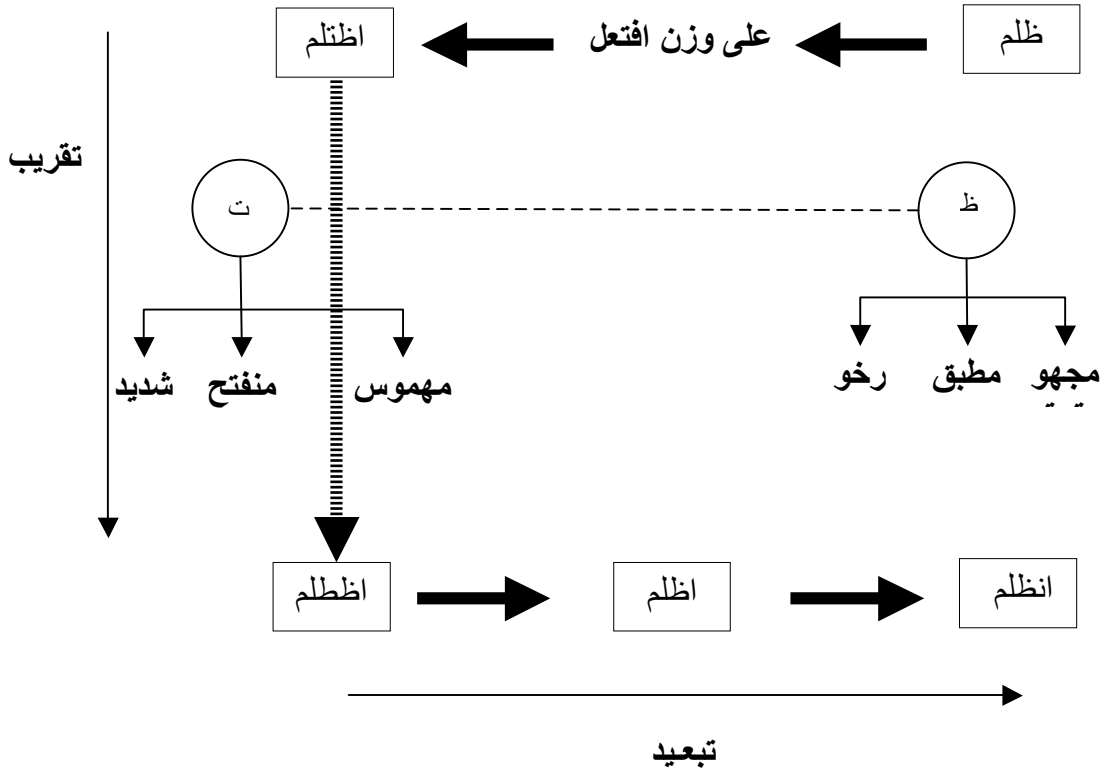

2.3..رسم تخطيطي يوضح آليتي التقريب والتبعيد

ملاحظات ونتائج

تعتبر ظاهرتا التقريب والتبعيد الصوتيتان من أكبر الظواهر المحققة لعملية الاقتصاد اللغويالناتجتان عن تفاعلات صوتية سياقية . بخلاف الجانب الاقتصادي في اللغة، غير الناتج عن تفاعلات صوتية فيما بين الأصوات، بل يكون في الجانب التركيبي كالحذف والترخيم... إلخ.

وهاتان الظاهرتان غير إراديتين، فالمتكلم يقوم بهما دون شعور أو قصد منه . وهي طبيعة الإنسان البشري الذي يلتمس أسهل السبل لإبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين . فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته، بالصعب الشاق،الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر، ومثل الإنسان في هذا مثله في جميع الظواهر الاجتماعية أين يحاول الوصول إلى أغراضه بأقصر الطرق كلما أمكن ذلك. وهو ما يسمى عند بعض الدارسين << بنظرية السهولة>> [09] .

الفصل 04
اثر الحركات في الانسجام الصوتي

تمهيد

الحركات، أو المصوتات، أو الصوائت (les voyelles). مفاهيم ومصطلحات تدل على معنى واحد لشكل صوتي متغيّر، يلحق الحرف العربي الهجائي في مواقع مختلفة . فقد تلحق أواخر الكلمات، لتحديد دلالة الكلمة نحويا . كما قد تلحق الحرف في أي موضع من مواضع الكلمة المفردة، دون أن تحدث أي تغير دلالـ ـي ، فتكون بذلك وظيفة الحركة هنا وظيفة صوتية .والوظيفة الصوتية التي تقوم بها الحركة في بنية الكلمة المفردة ، تنتج أساسا في علاقتها مع غيرها من الحركات أو في علاقتها مع الحروف المشكلة لبنية الكلمة (حروف المباني) .

ويتجلى في العربية في أشكال عدة ، نحاول ر صدها وتصنيفها مع التمثيل لها في كل مرة كما سيأتي في هذا الفصل.

1.4.مفاهيم

1.1.4.مفهوم الحركة

لغة جاء في اللسان :<< الحركة ضد السكون . حرك يحرك حركة وحركا، وحركه فتحرك>> [12]

اصطلاحا هي<<الصوت المجهور، الذي يحدث في تكوينه، أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم ، وخلال الأنف معها أحيانا . دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء، اعتراضا أو تضييقا له يؤدي إلى حدوث احتكاك >> [49] فليس هناك حركة تتميز بصفة الهمس، و لو كانت هناك حركة مهموسة ، لكانت عبارة عن هواء الزفير.

والحركة تحقق نطق الحرف وتخرجه عن صمته . وهذا ما روي عن الخليل بن أحمد قال سيبويه:<< زعم الخليل أن الفتحة ، والضمة ، والكسرة زوائد . وهن يلحقن الحروف، ليتوصل بهن إلى التكلم>> [50] .

2.1.4. حركات النظام الصوتي العربي

يتضمن النظام الصوتي العربي "système phonatoire" ست حركات. ثلاث منها أصلية قصيرة، والثلاثة الأخرى حركات طويلة (حروف المد). تنتج كل حركة منها بإشباع ومطل "amplification" في الحركات القصيرة.

1.2.1.4. الحركات الأصلية القصيرة

وهي الفتحة، والكسرة، والضمة و<<الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق ، والـ كسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة >> [16] .ومع كل حركة من هذه الثلاث، يتخذ الجهاز الصوتي وضعية خاصة . فمع الفتحة يكون اللسان مستويا في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك ، مع ترك الهواء ينطلق من الرئتين مؤديا إلى اهتزاز الأوتار الصوتية وهو مار بها

أما الكسرة فتصعد مقدمة اللسان معها نحو الحنك الأعلى ، مع بقاء فراغ بينها وبين الحنك الأعلى، يسمح بمرور الهواء الصادر من الرئتين . دون أن يحدث في مروره بهذا الموضع أي نوع من الاحتكاك أو الحفيف. مع اهتزاز الأوتار الصوتية.

أما الضمة فمعها يرتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك الأعلى ، دون أن يحدث الهواء المار بهذه المنطقة ، أي نوع من الاحتكاك أو الحفيف.مع اهتزاز الأوتار الصوتية [23] .

2.2.1.4. الحركات الطويلة

وهيالألف ، والواو المدية، والياء المدية . وتنتج هذه الحركات عن مطل وإشباع في الحركات القصيرةفهي أشبعت واحدة منهن، حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه >> [16] . فالفرق بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة ، هو الإشباع فقط وكمية الصوت ، التي تكون في الحركات الطويلة مضاعفة لكميتها في الحركات القصيرة.

فالفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الوا و [27] . ومخرج الفتحة من مخرج الألف، وكذا الكسرة من مخرج الياء ، والضمة من مخرج الواو [27] . لذلك فإن هذه الحركات تسمى بحروف المد، إشارة إلى امتداد الهواء واستطالته ، دون عائق أو مانع عند إصدارها نطقا [50] .

2.4. التقريب بين الحركات

تنزع الحركات فيما بينها إلى التقارب والتماثل . << فكما أنك تجد التقارب بين الحروف تجده أيضا بين الحركات>> [16] . وهذا التقارب غالبا ما يتخذ شكلين:

فإما أن يكون عن طريق الانزلاق الحركي ، باقتراب الحركات بعضها من بعض بإنزياح مخارجها ، وإما أن يكون عن طريق إبدال "commutation" الحركات بعضها من بعض، بهدف التماثل الكلي ، أو التماثل الجزئي ، ومن ثم تيسير الأداء وتقليل الجهد المبذول فيه .

1.2.4.التقارب الحركي عن طريق الانزلاق

كما ذكرنا في الحركات القصيرة بأنها ثلاث :الفتحة، والكسرة، والضمة . هذه الحركات كلما تجاورت في السياق يحدث بين ها تجاذب . فكل حركة تحاول جذب أختها ناحيتها ، بهدف التقارب فيما بينهما . مما ينتج عنه أداء خاص للحركات الأصلية ، ناتج عن تأثر بعضها ببعض عند التجاور . هذا الأداء يختلف نسبيا عن أداء الحركة الأصلية وهي خارج هذا السياق.

فالحركات الأصلية الثلاث ما هي << إلاّ ظاهر الأمر>> [01] . ذلك أن دنو كل حركة أصلية واقترابها من حركة أصلية أخرى ، ينتج عنه حركة ثالثة ، هي عبارة عن تركيب (combinaison)صوتي، بين الحركة الأولى والحركة الثانية . وهو ما يسمى بحركة : (بين – بين) [51] . أو الحركات الفرعية.

وما دام كل حركة (بين بين)هي نتاج تقارب حركتين أصليتين . فإن عدد الإمكانات النظرية لإنتاج حركات فرعية، هو ست إمكانات لأن بين كل حركتين حركة . غير أن المحقق منْها في مستوى الاستعمال هو أربع فقط.

فالحركة الأولى ناتجة عن اقتراب الفتحة من الكسرة والحركة الثانية ناتجة عن اقتراب الفتحة من الضمة . و الحركة الثالثة عن اقتراب الكسرة من الضمة . والحركة الرابعة والأخيرة ، ناتجة عن اقتراب الضمة من الكسرة . يقول ابن جني : << ذلك أنه جاز في الفتحة أن ينحى بها نحو الكسرة والضمة . وجاز في الكسرة أن ينحى بها نحو الضمة ، وجاز في الضمة أن ينحى بها نحو الكسرة ولم يجز في واحدة من الكسرة ، ولا الضمة أن ينحى بها نحو الفتحة >> [16] . ويتخذ هذا التقريب عن طريق الانزلاق عدة أسماء ، وهذا بحسب كل حالة . وهذا ما رصدناه في المصنفات اللغوية القديمة على النحو الآتي:

1.1.2.4.تقريب الفتحة من الكسرة

هذا عالجه اللغويون القدماء تحت مصطلح : الإمالة (inflexion) [52] .<< وهي تقريب الفتحة من الكسرة . نحو تقريب فتحة العين من " عالم"إلى كسرة اللام منه >> [01] . بهدف تقريب الأصوات بعضها من بعض ، حتى يكون العمل من وجه واحد [27] .

ففتحة العين من " عالم"، ليست ه نا فتحة خالصة . بل هي مزيج صوتي في أدائها بين أداء الفتحة الخالصة ، وأداء الكسرة الخالصة ، وهذا ما نوضحه في الرسم التالي: [53]

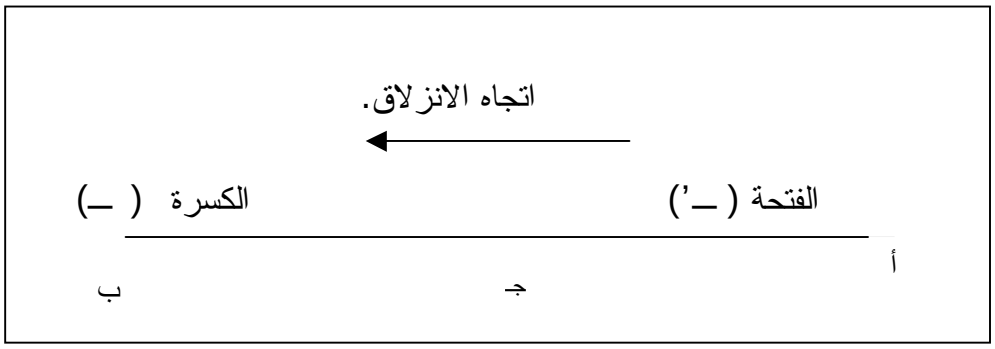

ففي النقطة (أ) من رأس القطعة المستقيمة [أ.ب] توجد الفتحة القصيرة الخالصة . وفي النقطة (ب) من القطعة المستقيمة [أ.ب] توجد الكسرة الخالصة، وكلما تحركنا بالفتحة من (أ) نحو (ب) فإن أداءها يبدأ بالتغير التدريجي ، مقتربا من أداء الكسرة . وهذا ما يعني أن << الفتح أصل والإمالة فرع عليه>> [45] . لأنها ناتجة عن انزلاق للفتحة عن وضعها الأصلي.

أما على مستوى الجهاز الصوتي، فإن اللسان عند إمالة الفتحة ، يكون بين وضعي أداء الفتحة وأداء الكسرة . بإرتفاع مقدمته نحو وسط الحنك الأعلى ارتفاعا يزيد على ارتفاعه مع الفتحة، ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة .ويكون وضع ا لشفتين مع الإمالة في وضع انفراج، إلاّ أنه يكون دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة [52]

إمالة الألف

الألف الممالة: وهي التي عدّها سيبويه من الحروف المستحسنة في قراءة القرآن والآشعار [27] ونتج هذه الألف عن عدول الألف عن استوائه وجنوحه إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف والياء [27] ونتج إمالة الألف ، عن إمالة الفتحة وتقريبها من الكسرة >> [01] . وعلة إمالة الألف نحو الياء لإمالة الفتحة وتقريبها من الكسرة ،هي التناسب الصوتي . فكما أن الفتحة من جنس الألف، والكسرة من جنس الياء فإنّ انزياح الفتحة واقترا بها من الكسرة، يستدعي انزياح الألف واقترابها من الياء ، للحفاظ على الانسجام ولجأت بعض القبائل للإمالة، لأن الانتقال بين تلك الأصوات ، كمن يتصعد في زاوية حادة من طرف أحد أضلاعها إلى الرأس ، ثم يهبط إلى طرف الضلع الآخر ، وكل هذا بخطوتين متصلتين [07] . فلو قلنا مثلا: "عالم" دون إمالة ،

لكان النطق بكسرة اللام بعد إشباع الفتحة بالألف، كالنزول في حدور من موضع عال (...) فأملنا لكي يكون النزول من موضع غير مفرط العلو ، وهذا أخف من الانكسار بعد إشباع الفتحة [55] .

مواضع الإمالة

للإمالة أسباب توجبها .منها وقوع الياء أو الكسرة قبل الألف، نحو : شيبان ، وعيْلان ،وعماد ، وكتاب أو وقوعهما بعد الألف ، نحو : عابد، وعالم. << وكذلك تمال الألف قبل الراء، شرط أن تكون الراء مكسورة نحو : "من النار".هذه الإمالة حسنة لتكرار الراء . فيكون الكسر وكأنه متكرر.وإذا تكرر الكسر ازدادت الإمالة حسنا ليتجانس الصوت>> [56]

موانع الإمـــــالة

تمنع الإمالة مع الحروف المستعلية وهي : الصاد، والضاد، والطاء،والظاء ، والغين، والقاف، والخاء . لأن هذه الحروف تتنازع الألف هي والياء . فتجذب الألف نحوها وتستعلي بها، كما تجذبها الياء والكسرة . ليحدث استعلاء الألف تناسبا صوتيا مع هذه الحروف المستعلية ، كما حدث التناسب من قبل عند الانحناء بها نحو الياء والكسرة [41] . وذلك نحو : صابر وطائف وقاعد ... إلخ.

كذلك تمنع الإمالة مع الراء المفتوحة . لأن الراء مكررة ، وبتكرارها يقوي فتحها ، فصارت بمثابة الحرف المستعلي ، نحو : راشد . فهذه الألف لا يجوز إمالتها رغم وقوع كسرة بعدها لأن الراء قبلها مفتوحة [45] .

2.1.2.4. تقريب الفتحة من الضمة

يقول ابن جني :والفتحة الممالة نحو الضمة ، فالتي تكون قبل ألف التفخيم . وذلك نحو الصلاة والزكاة>> [16] . حيث أن فتحة اللام في " الصلاة" ليست فتحة خالصة ، كما أنها ليست ضمة خالصة. في الوقت نفسه. بل هي مزيج صوتي ، بين صوتي الفتحة والضمة.>>

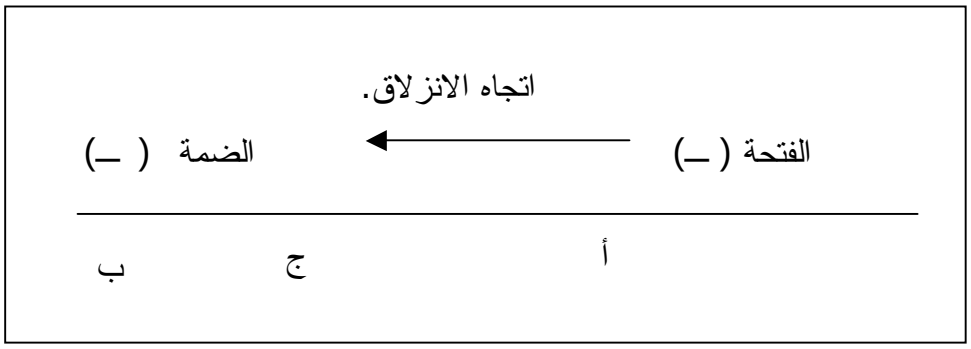

فالفتحة في النقطة (جمن) الشكل، تختلف عن أداء الفتحة في ا لنقطة (أ)من نفس الشكل . ذلك أنها في النقطة (أ) فتحة خالصة بينهما في النقطة (جـــ)، تكون مشوبة بالضمة على حد تعبير ابن جني.

وفي مستوى الجهاز الصوتي، فإنّ اللسان في حالة تقريب الفتحة من الضمة، يتخذ وضعا وسطا بين وضعيه مع الفتحة ومع الضمة، فيكون بذلك بين قاع ا لفم(في وضعه مع الفتحة) وبين ارتفاع مؤخرته نحو سقف الحنك (في وضعه مع الضمة).

الألف المفخمة

ألف التفخيم هي من بين الحروف الفروع الستة المستحسنةعند سيبويه [27] وتنتج هذه الألف عند تقريب الفتحة من الضمة، فتقترب الألف من الواو . فيكون أداؤها ما بين أداء الألف، وما بين أداء الواو . وهذا ما سنوضحه فيما بعد.

3.1.2.4. تقريب الكسرة من الضمة

وهذا ما أطلق عليه ابن جني : الكسرة المشوبة بالضمة فقال << والكسرة المشوبة بالضمة نحو: قيل وبيع... فالحركة قبل الياء هنا ، ليست كسرة خالصة بل هي مشوبة بالضمة >> [16] . أي حركة بين الكسرة والضمة.

ونزوح صوت الكسرة واقترابه من الضمة، هو ما يسميه اللغويون القدماء بـــ : " الإشمام" ، والإشمام يكون بإشمام حركة صفة حركة أخرى . كما يكون في الحروف بإشمام حرف صفة أو أكثر من صفات حرف آخر [52]. فالإشمام هنا تشير إلى حركة الضم دون تصويت، وإذ ما

تضم شفتيك فقط . أي أن الجهاز الصوتي حال النطق بالكسرة يتخذ وضعية النطق بالضمة ، دون أن يصدر صوت الضمة.

4.1.2.4.تقريب الضمة من الكسرة

وهذه الحالة يمكن أن تسمى بـــ : " تراجع الضمة نحو الكسرة ". لأنها الحالة الوحيدة في عملية تقريب الحركات عن طريق الانزلاق، التي يتراجع فيها الصوت إلى الوراء ، عكس اتجاه خروج الهواء. بعكس الحالات الأخرى التي نكون فيها عملية التقارب ، من الأقصى إلى الأدنى مخرجا.

وتقريب الضمة من الكسرة ، يكون في مثل حركة عين " مذعور". فالحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ، ولا كسرة مرسلة>> [16] ، بل هي مزيج صوتي بين الضمة والكسرة.

ومن خلال ملاحظتنا لحالات تقارب الحركات وانزلاقها نحو بعضها البعض ، نلاحظ أنّ الانزلاق يكون من الأقصى إلى الأدنى مخرجا . أي موافقا لاتجاه خروج الهواء الصادر من الرئتين . ما عدا الحالة الرابعة (الأخيرة) التي يكون فيها تراجع الضمة نحو الكسرة .

وقد علل ابن جني هذا الشذوذ بقوله :<<أنّ الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق ، وبعدها الكسرة ثم الضمة بعد الكسرة . فإذا بدأت الكلام بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين ، اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو، فجاز أن تشمها شيئا من الضمة، أو الكسرة لتطرقها إياهما.ولو تكلفت أن تشم الكسرة، أو الضمة،رائحة من الفتحة، لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت ، بتراجعه إلى الوراء>> [16]

وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة، باستعمال الأجهزة العلمية المتطورة . إذ في تكلف إشمام الكسرة ،أو الضمة، رائحة الفتحة ، فيه انقلاب ونقض . وهو ما يؤدي إلى ثقل كبير، لذلك ترك النطق بمثل هذه الحركة [54] .

فالانتقال بالحركة عكس إتجاه خروج الصوت فيه ثقل صوتي . كما أنّ نقل الحركة إراديا في الاتجاه السالب لمجرى الصوت ، يصحبه تكلف في النطق ؛ و ربما تعذر ذلك . وهو ما يناقض طبيعة الأداء في اللغة العربية ، التي تجنح دائما إلى السهولة واليسر في الأداء .

ويذهب العلامة ابن جني في نفس المقام، إلى تعليل سبب تراجع الضمة نحو الكسرة ، دون تراجع لا الضمة ولا الكسرة نحو الفتحة ، بأنه بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ، ما ليس بينها وبين الفتحة . فجاز أن يتكلف نحو ذلك بين الضمة والكسرة لما بينهما من التجانس [16] .

فالانزياح السريع لحركة نحو أخرى، والذي يكون في أداء صوتي واحد، متمثلا في حركة جديدة، تكون أكثر ليونة، وأكثر انسيابية من نطقنا لحركتين متتابعتي نِ[(فتحة/كسرة) ، (فتحة / ضمة) ، (كسرة / ضمة) ، (ضمة / كسرة)] إثر انتقال مفاجئ للسان ، من وضع الحركة الأولى، إلى وضع الحركة الثانية، عن طريق القفز . وهذا فيه مشقة وعسر كبير . ولتخفيف هذه المشقة في إخراج الكلام ينعطف التصويت عند تقريب الحركات بعضها من بعض عن طريق الانزلاق؛<<فيصير ذلك كالسير في خط منحن محدب لطيف>> [07] .

2.2.4.تقريب الحركات عن طريق الإبدال

للحركات في اللغة العربية دور كبير في هندسة التشاكل والتوافق الصوتيين، فبالإضافة إلى الوظيفتين الصرفية والإعرابية ، اللتين تضطلع بهما الحركات في ا للغة العربية. فإنه لا يمكن إغفال الوظيفة الصوتية ، التي تعتبر على قدر كبير من الأهمية في الأداء اللغوي . ويظهر هذا بشكل جلي في القراءات القرآنية . حيث يحدث وأن تبدل الحركات بعضها من بعض في السياق ، في مواضع عديدة . سواء أكان هذا في الكلمة المفردة ، أم في التركيب بين كلمتين . بغرض التماثل بينها، ونزوعا إلى التقارب.

وقد تنتج عن عملية الإبدال التي تقع بين الحركات ، حركتان متجاورتان متماثلتان تماثلا كليا : (فتحة / فتحة) ، (كسرة / كسرة) أو(ضمة / ضمة) وهو بذلك تقريب كلي ، أو تنتج حركتان تقتربان إلى حد بعيد من بعضهما البعض ، في كيفية الأداء والخصائص الصوتية، وهو بذلك تقريب جزئي . وهذا ما سنفصله في ما يلي :

1.2.2.4.التقريب الكلي بين الحركات

لم يفوت اللغويون القدامى التطرق إلى هذه الظاهرة ، حيث تعرض لها سيبويه في باب << ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار >> [27] ، قال << ...علم أنّ أصلها الضم وبعدها الواو، لأنها في الكلام كلّه هكذا ...وتكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة >> [27]

فحركة الضم في الهاء التي تعود على الغائب بجميع أنواعه، تتأثر بما قبلها من كسرة أو ياء فتقلب الضمة كسرة ، لمجانسة الياء أو الكسرة قبلها . ويكون هذا في ضمير النصب للغائب المفرد المذكر (ـــه) ، وضمير الجر للغائب المفرد (ـــه) ، والجمع المذكر الغائب (ـــهم) ، والجمع المؤنث الغائب (ـــهن) . والمثنى الغائب (ـــهما) . فنقول : << به >> بدل << به >> . ونقول" ضربْته" بدل "ضربته" ... وهكذا [44] يحصل هنا تماثل كلي بين حركتين : هما الكسرتان.أو الكسرة والياء، التي هي من جنس الكسرة .

وعالج ابن جني هذه المسألة فقال : << ومن حركات الإتباع قولهم ... شعير ورغيف ، وبعير>> [01] وهذا في صيغة " فعيل"ما عينه حرف حلقي مطّرد . وليس هذا في الحقيقة إلاّ نوعا من الانسجام الصوتي، بين حركات هذه الكلمات [58] .

ومن ذلك أيضا ، إبدال الضمة من الكسرة في همزة الوصل، إذا ألحقت بفعْل الأمر الساكن الفاء ، وما بعده مضموم فنقول : "أ كْتب" بدل: "اكْتبوْ"ما شابه ذلك من الصيغ . وكذلك في الأفعال المبنية للمجهول نحو : ا'حْترم وا'سْتقْبل بدل : احْترُم واسْتقبل . وكذلك إذا كانت الهمزة مكسورة في الفعل المزيد الأجوف نحو : ا'خْتير واقتيد . وعبر عن الضمة المحذوفة في حرف التاء بالإشمام [07] .وهذا لتماثل ضمة همزة الوصل ضمة التاء .

وكثير من هذا ما جاء في بعض القراءات القرآنية ، منها قراءة أبي الدرداء (ت32هـ) لقوله تعالى: <<فجعلهم كعصف مأكول >> [17] ، بفتح همزة " مأكول". وعلة هذا صوتية بحتة ،وهي اتباع حركة الهمزة، فتحة الميم التي قبلها . وكذا قراءة أبي جعفر المدني (ت127هـ) لقوله تعالى :واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ، أنّي مسنّي الـ شيطان بنصب وعذاب >> [17] . بضم الصاد في كلمة " نصب". إتباعا لحركة النون قبلها [59] والأمثلة في هذا كثيرة جدا . وهذا ما يبين لنا أن ظاهرة التقريب بين الحركات ، أوالإتباع الحركي، وإن كانت غير مطّردة في جميع لغات العرب ، ولا هي مطردة كذلك عند جميع القرّاء بنفس الشكل والحالة. إلاّ أن وجودها كواقع أدائي في القراءات القرآنية على وجه الخصوص، يقر بكونها ظاهرة صوتية ،هدفها تيسير الأداء بجعله – ما أمكن ذلك- من جانب واحد. دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير المعنى.

2.2.2.4. التقريب الجزئي بين الحركات

هذا النوع من التقريب قل يل ، مقارنة بالتقريب الكلي ومثل ذلك : إبدال الفتحة من الكسرة في لام الجر ، إذا اتصلت بضمير الغائب المفرد ، فيكون لـــه ←لـــه ←لـــه له . لثقل الضمة بعد الكسرة << حتى أنه ليس في كلام العرب كسر أول الحرف وضم الثاني في نفس الصيغة . نحو فعل>> [27] . وإبدال الفتحة من الكسرة هنا ،لأن الفتحة أخف من الكسرة ، وأسهل أداء منها من جهة، ولشبهها في اتساع مخرجيهما من جهة أخرى .

3.4. التبعيد بين الحركات

يتم التبعيد بين الحركات بطريقتين هما الحذف والإبدال . فكما يكون الحذف والإبدال في حروف المباني، يكون كذلك في الحركا ت الطويلة منها والقصيرة على حد السواء . وذلك لتقريب الأصوات بعضها من بعض أو لتبْعيدها .

1.3.4. التبعيد بالإبدال

ويكون هذا في مواضع عدة نذكر منْها:

إبدال أحد الضمتين المتتاليتين إلى فتحة قصيرة نحو قولنا : سرر : سرر وفي ذلل : ذلل لاستثقال إجتماع ضمتين مع التضعيف [52] .

2.3.4. التبعيد بالحذف (الإسكان)

إذا رتبنا الحركات والسكون بحسب الخفة والثقل ، فإننا نجد السكون أخف من الحركات الثلاث ، ثم تليه الفتحة، وبعدها الكسرة ، ثم الضمة ، والسبب في هذا هو وضعية الجهاز الصوتي في كل حالة.

فالسكون هو علامة عدمية بالنسبة إلى الحركة، وخفته جاءت من كونه يمنع توالي الحركات ، فصيغة : فعْل أخف من فعل لتوالي فتحتين في الصيغة الثانية . وكذلك صيغة فعْل أخف من فعل . لأنّ الخروج من الكسر إلى السكون أخف من الخروج من الكسر إلى الفتح . وأثقل منهما الخروج من الكسر إلى الضم . لبعد المخرجين [20] .

وتظهر أهمية السكون من خلال مصفوفة الصيغ الثلاثية . أين تكون فيها صيغتا : فعْل ، وفعل كسهْم وبطل أشهر الصيغ وأكثرها تداولا . وأقلها صيغتا : فعل وفعل كإبل وحبك في إحدى القراءات القرآنية . والسبب في هذا أنّ توالي كسرتين فيه ثقل على الجهاز الصوتي، كما أنّ الخروج من الكسر إلى الضم ثقيل وكذلك العكس [20] .

والصيغ الثلاثية الممكنة في العربية يوضحها الجدول التالي :

ع / ف	ـــــ	ـــــ	ـــــ	ـــــ
ـــــ	فعل	فعل	فعل	فعْل
ـــــ	فعل	فعل	فعل	فعْل
ـــــ	فعل	فعل	فعل	فعْل

ونلاحظ من خلال الجدول أنّ القسمة العقلية تقتضي اثني عشر وزنا (صيغة). إلا أنّ المستعمل منها عشر صيغ فقط بإهمال صيغتى فعل وفعل .هذا فضلا على أنّ المستعمل من الصيغ يلحقه التخفيف : نحو تخفيف صيغة فعل بإسكان العين فنقول في : كتف كتْف ، وكذا إسكان عين كل من : فعل نحو:عضْد. وفعل نحو: إبْل . وفعلْ نحو: عنْق [46] .وهذا ما يوضح لنا دور السكون في حل مشكل توالى الحركات . إذ نلاحظ وجود ثلاث صيغ ساكنة العين، من بين عشر صيغ المستعملة .

4.4. التناسب الصوتي بين الحركات وحروف المباني

1.4.4. بين الحركات وحروف العلة

للحركات علاقة وثيقة بحروف العلة (الألف، والياء ،والواو) .هذه العلاقة تتمثل في أنهما من نفس الطبيعة الصوتية، ويقتربان من بعضهما إلى حد بعيد في الخصائص الصوتية . وهو ما ينتج عن هذه الخصوصية ، خصوصية في شكل التقائها في البنية المفردة ، وما يترتب عنْها في

كثير من الأحيان من تغيرات صوتية - صرفية ، تخرج بنية الكلمة المفردة عن الأصل اللغوي، طلبا للتوافق والانسجام بين الحركات وحروف العلة، ومن ثم الاقتصاد في الكلام ومنه في اللغة.

1.1.4.4. مفهوم حروف العلة

العلة لغة: <<هي المرض، وصاحبها معتل ، والعليل هو المريض>> [12] .

أما اصطلاحا: حروف العلة في العربية ثلاثة أحرف هي <<الألف، والياء، والواو . وتسمى كذلك بحروف المد واللين >> [02] لأن مخارجها لانت واتسعت .<< وتسمى بالحروف الممطولة>> [16].أي الممدودة.<< وسميت بحروف العلة لضعفها>> [01] .

2.1.4.4. علاقة الحركات بحروف العلة

يرى ابن جني أن <<الحركات أبعاض حروف المد واللين >> [16] . << فمتى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه >> [16] ، وعليه فالألف تنتج عن إشباع ومد حركة الفتحة.والياء تنتج عن إشباع ومد حركة الكسرة ، والواو تنتج عن مد في الضمة . << فالفتحة من الألف ،والكسرة من الياء، والضمة من الواو>> [27] .

إشباع الفتحة ⟵ الألف

إشباع الكسرة ⟵ الياء الساكنة

إشباع الضمة ⟵ الواو الساكنة

فانطلاقا من المعطيات الأخيرة ، فإن البناء الصوتي في البنية المفردة ، لن يكون منسجما ما لم يحصل هناك توافق في الطبيعة الصوتية بين الحركة وحرف المد واللين الموالي لها . وغير هذا يجعل البناء الصوتي للكلمة ثقيلا جدا ، وربما تعذر أداؤها إطلاقا.

يقول ابن جني :<<لأنه إذا بدأت بالكسرة ، فإنك قد جئت ببعض الياء وآذنت بتمامها ، فإذا تراجعت عنها إلى الواو ، فقد نقضت أول قولك بآخره ، وخالفت بين طرفيه . وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء، فقد جئت بأمر غيرْه المتوقع >> [16] . فيحصل هناك تعارض في البناء الصوتي للمفردة، لتعارض وحدات بنائها صوتيا. وهو ما قد يؤدي إلى الإخلال بفصاحتها لتنافر بنيتها وعدم ائتلافها.

لكن قد يتطلب الوضع اللغوي بناء بين حركة وحرف مد ليس من جنسها . وهو ما يتطلب حدوث تغيير لهذه البنية المتنافرة . مما يستدعي قلب حرف المد واللين، إلى حرف مد آخر من جنس الحركة التي قبله وهذا لإعادة الانسجام بين الوحدات الصوتية للبنية المفردة . وهو ما يسمى عند اللغويين " بالإعلال" [02] .

فإذا انكسر ما قبل الألف أو انضم،قلبت الألف للكسرة ياء،وللضمة واوا >> [16] حيث يتعذر الخروج من الكسر إلى الألف ، أو من الضم إلى الألف للتعذر . وذلك نحو قولنا في جمع كلمة: << مفتاح >> جمع تكسير. فنقول : << مفا تـــ ا ح >> . وهذا لا يمكن تأديته، فتقلب الألف ياء لانكسار ما قبلها .فنقول:مفاتيح.وكذلك:لاعب.فتصغيرها يكون: لويعب . بدل لايعب.أي قلب الألف واوا بعد الضمة .

و نفس الأمر مع الواو والياء الساكنتين نحو قولنا : قوْل ، وطوْل . فنظرا لثقل الواو بعد الكسرة وعدم مجانستها لها ، تقلب ياء فنقول : قيل وطيل . وكانت العرب تقولهما مقلوبتين . وكذلك قالوا : موسر وموقنْ ، وأصلهم ميْسر ، ميْقن [16] ، فقلبت الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها .

أما الفتحة فإنها لا تقلب الياء أو الواو الساكنتين بعدها ألفا لخفتها ، ولبعد مخرجها من مخرجي الياء والواو، نتيجة بعْد الألف منها ، وهي من الألف . مما يجعل تأثيرها في هذين الحرفين ضعيفا إلى حد ما . فهذا البعد المخرجي يعتبر بمثابة فاصل بين الفتحة وبين الواو أو الياء الساكنتين بعدها .

يقول ابن جني : << ألا ترى صحة الياء والواو الساكنين جميعا بعد الفتحة، وتعذر الياء الساكنة بعد الضمة والواو الساكنة بعد الكسرة >> [01] . فهم تقو الفتحة في نحو :سوْط ، وحوْض ، وبيْت ، وقيْد ، على قلب الواو والياء ألفا >> [16] أما إذا كانت الواو واليا ء بعدها متحركتين. فإنهما يقلبان ألفا لمجانسة الفتحة نحو : قام وباع فأصلهما : قوم وبيع [16] .

3.1.4.4. حركة المناسبة

هذه الحركة نجدها في موضع يتطلب غيرها لعلة نحوية . وعليه فهي غير أصلية بل منقلبة عن حركة أخرىهذه الأخيرة وإن كان النظام اللغوي يتطلبها إلا أنها قد تخل بالنسيج الصوتي لتنافرها مع مايليها من الضمائر المتصلة .

وتأتي هذه الحركة في مواضع عدة منها : قبل ياء المتكلم إذا اتّصلت بالأسماء نحو : "هذا كتابي" ، فحركة الباء هنا أصلها الضم . وإنما حركت بالكسر ، لتجانس الياء بعدها . وكذلك في بناء الفعل الماضي على الضم إذا اتصل بواو الجماعة ، فنقول : قاموا ، كتبوا ، وأصل بناء الفعل الماضي هو الفتح .

إذنفحزكة المناسبة تستجيب لحالات التخفيف، والتقريب . وتنتدب لحل الاستعصاء الصوتي الذي يمكن حصوله بين الحركات والضمائر المتصلة التالية لها .

ونخلص في الأ خير إلى أنّ التبدلات الصوتية التي تحدث بين الحركات وحروف العلة والتي تتمظهر في عدة أشكال من أهمها الإعلال وحركة المناسبة .هدفها إحلال الانسجام والاتساق بين الأصوات المكونة للكلمة المفردة ، وهذا له دور كبير في عملية الاقتصاد اللغوي، الناتج عن ليونة وسهولة الأداء، وهو ما يؤهل اللغة ويجعلها أكثر انسيابية وحيوية، وبالتالي بقاؤها وتطورها

ويمكن أن نلخص التغيرات الصوتية التي ذكرناها ، والشكل الذي تحدث عليه في المخطط الموالي:

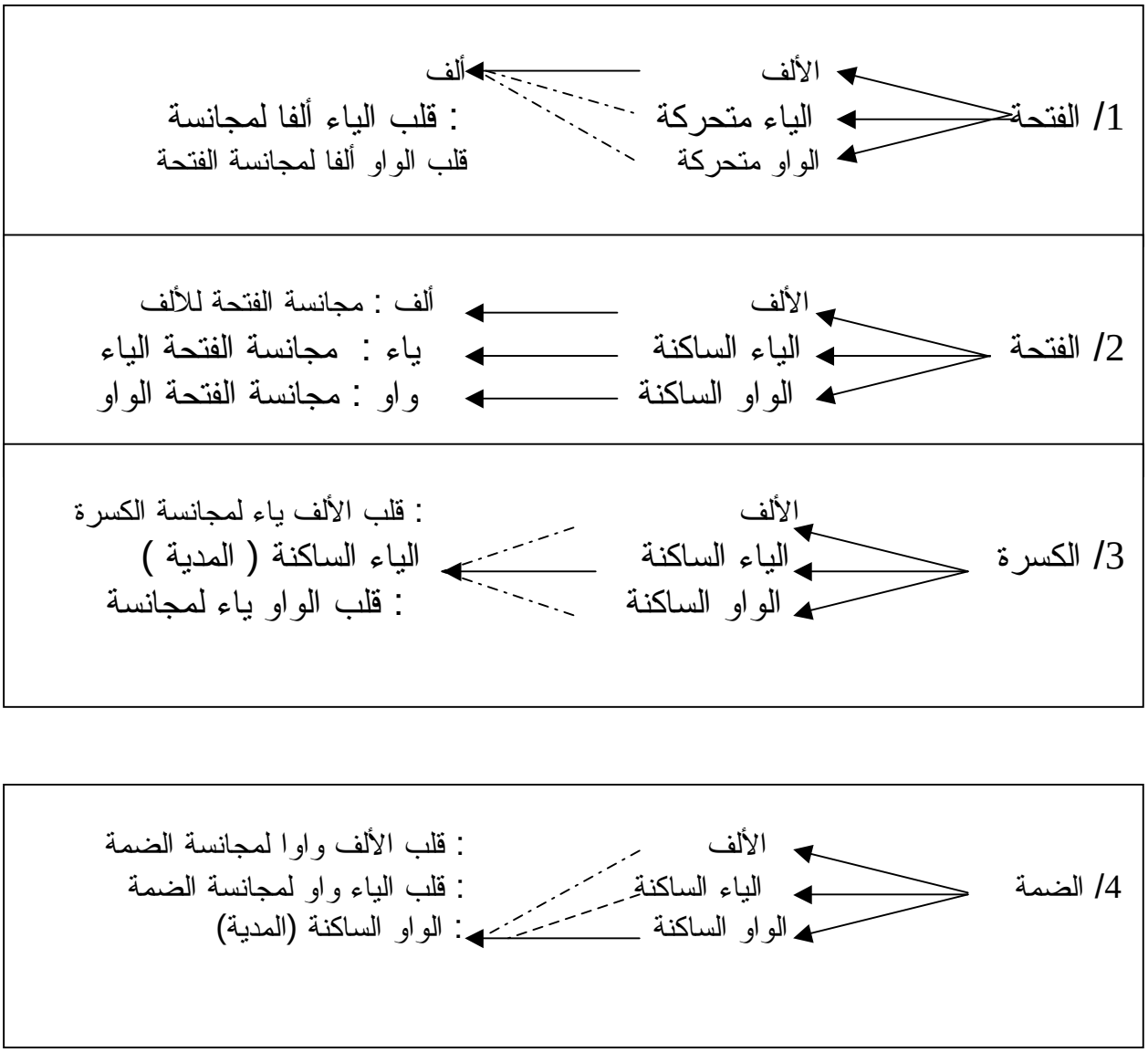

1.4 . شكل يوضح آلية الإنسجام بين الحركات وحروف العلة

: : حدوث عملية قلب .

: : عدم حدوث عملية القلب

4.1.4.4.تلازم التغير بين الحركة وحرف المد المجانس لها

انطلاقا من النتائج المتوصل إليها في بحث علاقة الحركات بحروف العلة . والتي من نتائجها ضرورة مجانسة حرف المد للحركة السابقة له . وذلك في أحوال معينة ، وربطها بالنتائج المتوصل إليها في بحث انزلاق الحركات واقتراب بعضها من بعض. فإنه قد يطرح السؤال الآتي:

إذا كانت الحركة تستلزم أن يكون حرف المد الموالي لها من جنسها ، فهل يعْني هذا أن اقتراب هذه الحركة نحو حركة ثانية ، يؤدي بالضرورة إلى اقتراب حرف المد المجانس لها، نحو حرف مد ثان مجانس للحركة الثانية ؟

وبصيغة رياضية يمكن طرح السؤال بالشكل التالي : لدينا العناصر الآتية { أ ، أ' ، ب ، ب' } .

لدينا [أ ⇆ ب ٨ أ' ⇆ ب'] . إذا كان [(أ يؤول أ') ⇆ (ب يؤول ب')] ؟

ع1 ع2

إنّ اعتبار العلاقة (ع1) محققة لما ذكرناه سابقا في مسألة اقتراب الحركات بعضها من بعض عن طريق الانزلاق . يجعلنا نقر بصحة العلاقة (ع2)بالضرورة ، وف قا لمنطق الاستعمال اللغوي . وإلا سيحدث هناك بؤرة توتر صوتية تؤدي إلى ثقل في الأداء .

فانزياح حركة نحو حركة ثانية، يؤدي بالضرورة إلى انزياح حرف المد المجانس لها في نفس الاتجاه ، وبالتوازي مع انزياح الحركة، للحفاظ على الانسجام الصوتي الحاصل سابقا بين الحركة وحرف المد الموالي لها .

فالتغير الصوتي يكون هنا بصفة كلية لا بصفة جزئية . وهذا هو علة وجود الألف الممالة ، وألف التفخيم ، اللذين اعتبرهما سيبويه ، من الحروف الفروع المستحسنة كما ذكرنا سابقا .

ذلك أنّ الإمالة - كما ذكرنا - <هي أن تنحو بالفتحة نحو ا لكسرة ، فتميل الألف بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت >> [16] ، كما أنّ ألف التفخيم، ما هي في الأصل إلا إمالة الألف نحو الواو ، نتيجة إمالة الفتحة نحو الضمة .

وهذا ما ذهب إليه ابن جني بقوله : << أن الفتحة الممالة نحو الضمة ، فالتي تكون قبل ألف التفخيم ، وذلك نحو الصلاة (وكما) أنّ الحركة أيضا هنا قبل الألف، ليست فتحة محضة . بل هي مشوبة بشيء من الضمة ، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة للحركة التي هذه صفتها فجرى عليها حكمها . وأما الكسرة المشوبة بالضمة نحو : قيل (...) فالياء التي بعدها مشوبة بروائح الواو (...) وأما الضمة المشوبة بالكسرة نحو : مررت بمذعور (...) فالواو التي بعدها مشوبة بروائح الياء >> [16] ، ولتوضيح هذا بشكل أحسن، نستعين بالرسم الآتي :

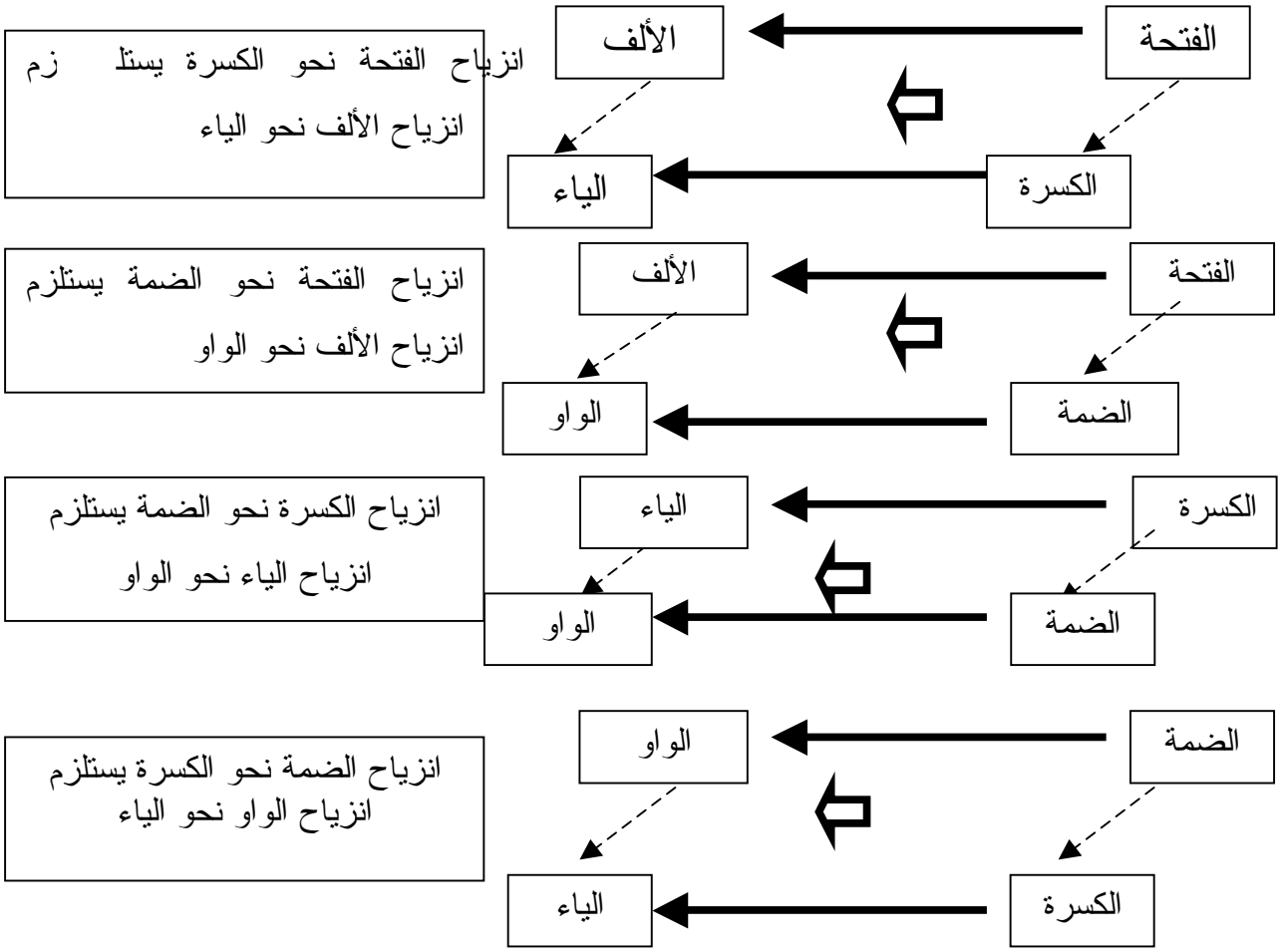

: الخط المتقطع يعني انزياح الحركة، أو انزياح الحرف.

وخلاصة القول في هذا الإطار، هي أنه إذا كانت حركة تستلزم حرف لين موال لها من جنسها ، فإن انزياح هذه الحركة واقترابها من أخرى ، يؤدي إلى اقتراب حرف اللين الموالي لها من الحرف المجانس للحركة الثانية ، لضرورة الحفاظ على الانسجام الصو تي . وإلا فإنه سيحدث – بالضرورة - تعارض بين وحدات النسيج الصوتي .

ففي إمالة فتحة العين من (عالم) نحو كسرة اللام منه . فلو نزحت فتحة العين نحو كسرة اللام دون انزياح الألف بعدها نحو الياء ، لأصبح لدينا النسيج الصوتي الآتي : (حركة ~ الكسرة) + الألف وهو تركيب صوتي، بين حركة تقترب كثيرا من الكسرة، والألف الساكنة بعدها . وهذا فيه تعارض وفقا لما ذكرناه سابقا . و نفس الشيء مع بقية الحركات .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا ، أنّ علاقة الحركة بحرف المد واللين، قد تتعدى إلى طرف ثالث لإرادة التناسب الصوتي . << فلأجل تحقيق الانسجام أمالوا ما أصله لا يمال، كأن تكون الألف في كلمة لا تستحق الإمالة >> [59] ، لكن لوقوعها بقرب ألف ممالة ، فإنه يحسن إمالتها لإحداث الاتساق والانسجام الصوتيين نحو قولنا : قرأت كتابا . فإنك تتوقف على كلمة كتاب بالألف وليس بالتنوين . وهذه الألف لا يجوز إمالتها لعدم توفر شروط الإمالة فيها .إلا أنه لكون الألف التي قبلها ممالة لوجود كسرة قبلها ، فإن الألف الثانية كذلك تمال لإرادة التناسب الصوتي>> [45] .

وهذا ما يوضح لنا انتقال الاضطراب الصوتي على طول السلسلة الصوتية ، كما ينتقل الاضطراب تماما في الأوساط المتجانسة الطبيعية ، عند إحداث أي تشوه بها.

2.4.4. بين الحركات والحروف الصحيحة

كما سبق وأن رأينا في بحث علاقة الحركات بحروف العلة ، وما لهذه العلاقة من أثر كبير في هندسة النسيج الصوتي بجعله لينا يسير الأداء ، وما يمكن أن يحدث من تغيرات الصوتية لإحلال الانسجام إن اقتضى الوضع اللغوي نسيجا مستعصيا على الأداء . فإن الأمر يعدو كذلك، بين الحركات وحروف المباني الصحيحة في البنية المفردة .بالتفاعل الصوتي المتبادل . كأنْ يؤثر حرف في حركة أو تؤثر حركة في حرف . ويمكن أن نرصد هذا في بنية المفردة العربية في مظاهر عدة :

1.2.4.4. تخفيف الهمزة (Adoucissement)

<< الهمزة حرف يخرج من أقصى الحلق ، وهو أدخل الحروف في الحلق ، فلما كانت كذلك ، استثقل أهل التخفيف إخراجها من حيث كان التهوع فخفوفها >> [41] <<وتخفيفها يجمعه الإبدال ، والحذف ، وجعلها بين – بين>> [36] .أي بين الهمزة ، وبين الحرف الذي منه حركتها فإذا.كانت مكسورة كانت بين الهمزة وبين الياء . وإذا كانت مضمومة كانت بين الهمزة وبين الواو وإذا كانت مفتوحة كانت بين الهمزة وبين الألف [28] وهي صورة متوسطة تخفف كثيرا من حدتها، بجعلها يسيرة الأداء سهلة الإخراج .

وتعتبر القبائل الحضرية من بين القبائل التي أهملت همز كلماتها ، برغبتهم في التأني والبطء في إخراج صورهم النطقية ، فنجدهم دوما يخففون الهمزة ، بتليينها وجعلها أكثر سهولة في الأداء ، عكس سكان البوادي الذين يهمزون في كلامهم [60] . وهي طبيعة سكان البدو ، الذين يتسمون بطابع خشن في سلوكاتهم ، وهو ما انعكس على أدائهم اللغوي .

تخفيفها بالإبدال

تخفف الهمزة بالإبدال في ثلاثة أحوال :

1. ساكنة وما قبلها متحرك : تقلب الهمزة الساكنة بحسب حركة ما قبلها ، فإن كان ما قبلها مضموما تقلب واوا نحو قولنا : جونه في جؤنه . وإن كان ما قبلها مكسورا تقلب ياء نحو قولنا : بير ، ذيب في بئر وذئب . وإن كان ما قبلها مفتوحا تقلب ألفا نحو قولنا : راس ، فاس في رأس وفأس [41] .

2.الهمزة متحركة وما قبلها ساكن : إذا كان قبلها واو ساكنة ، تقلب واوا وتدغم فيه . نحو قولنا : مقروّة في مقروءة إذأمكان الساكن قبلها ياء فإنها تقلب ياء كذلك وتدغم فيها . نحو قولنا : خطيّة في خطيْئة [41] .

3الهمزة متحركة وما قبلها متحرك : إذا كانت الهمزة مفتوحة ، وما قبلها مضموم ، أو مكسور فإنها تقلب بعد الضمة واوا ، وبعد الكسرة ياء ، نحو قولنا : في جمع : بؤرة : بور . وفي جمع : ذئبة : ذيبة [41] .

جعلها بيـــن بيـــن

وتجعل الهمزة بين- بين، في أربعة مواضع :

1. إذا تحركت وكان قبلها ألف تجْعل (بين- بين أي بين الهمزة وبين الألف . نحو قولنا : هباة في هباءة .

2. إذا كانت مفتوحة وما قبلها مفتوح تكون (بين- بين).نحو قولنا : سال في: سأل. أي بين الهمزة والألف .

3. إذا كانت مكسورة وما قبلها مفتوح نحو : سئم أو ما قبلها مضموم نحو : سئل . أو ما قبلها مكسور ، وهذا يكون في التركيب نحو : عبد ابراهيم ، فإنها تجعل (بين- بين) ، أي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها.

4. إذا كانت مضمومة وقبلها فتحة أو كسرة أو ضمة ، فتضعف صوتها ولا تتمه حينئذ من الواو الساكنة نحولؤمٰ ولوم ، رؤس ورووْس ، ويستهزئون ويستهزوون . أي أنك تجعلها بين الهمزة والواو [61]

حذفـــــــــها

تخفف الهمزة بالحذف إذا كانت متحركة ، وما قبلها صحيح ساكن نحو : العبْء فنقول : العب . وذلك بعد نقل حركتها إلى الساكن قبله [41] .

ويتضح لنا من خلال الحالات المذكورة سابقا أنّ الهمزة تخفف في كل الأحوال وتأخذ شكلا جديدا بحسب طبيعة حركتها أو حركة الحرف السابق لها ، هذا بالإضافة إلى كونه صحيحا أم معتلا

ويمكن أن نلخص أحوال تحقيق الهمزة وأشكاله في المخطط الموالي . الذي يُبين مواضع قلبها، ومواضع جعلها (بين– بين)، ومواضع حذفها. مع تحديد حركتها ، وحركة ما قبلها.

2.2.4.4.إيثار الحرف لحركة من حيزه (مخرجه)

إذا كانت حروف المباني تقوم بتشكيل أصل البنية المفردة ، وتقوم الـ حركات باستخدام هذا الأصل فإنه لا يمكن قصر دور الحركات على الجانب الوظيفي فقط ، والمتمثل أساسا في الوظيفة الصرفية ، بتنويع الصيغ ، أو الوظيفة النحوية . بل يتعدى دورها إلى الوظيفة الصوتية . والتي تعتبر على قدر كبير من الأهمية الشيء الذي لا يمكن إغفاله .

فبغرض الميل إلى انسجام البنية المفردة ، وتسهيلا لحركة اللسان بتجنيبه الانتقال في مواضع عدة في الوقت نفسه . وربما تطلب الأمر الانتقال في وضعين متعارضين بفاصل زمني يؤول إلى الصفر، فإنه يتخذ لحروف المباني حركات تكون من أقرب المواضع إليها .

فإذا كانت عين الكـ لمة ، أو لامها ، من الأصوات المرتفعة ، فمن المناسب أن تكون الحركة السابقة على اللام أو اللاحقة للعين ، من الموضع الأقرب إليها . أي كسرة ، أو ضمة لتقدم مخرجها في الفم [61] . وإذا كانت عينها أو لامها من الحروف التي سفلت ، فمن الواجب أن تتخذ لها ما سفل من الحر كات، وهي الفتحة . وهذا ذهب إليه سيبويه ، في أنه إذا كانت عين الثلاثي ، أو لامه ، حرفا حلقيا .أي : الهمزة ،أو الهاء ، أو العين ،أو الحاء، أو الغين أو الخاء . فإن الشائع والجاري على ألسنة الفصحاء ، هو فتح عين مضارعه . وذلك نحو : قرأ يقرأ . سأل يسْأل (...) وذلك لأنها سفلت في الحلق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف ، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف [27] ، وعلة ذلك، أنّ الأصوات الحلقية تناسب في الغالب وضعا خاصا للسان ، يتفق مع وضعه إلى حد بعيد مع الفتحة [62] . وقد جاء في << المحيط >> من هذه الأفعال نحو : خمس مائة وستة أفعال (506). لم يشذ منها سوى ثلاثة أفعال [62] . مما يدل أو يؤكد اطّراد الظاهرة الصوتية وضرورتها الموجبة لها .

3.2.4.4.تأثر الحركة بصفة الحرف

إذا كان الحرف يتحدد من زاويتين . من زاوية المخرج ومن زاوية الصفة (الحرف = مخرج + صفة). فإن الحركة لا تتحدد إلا بالمخرج ، باعتبار الحروف التي هي أبعاضها وصفة الجهر فقط . دون سائر الصفات الأخرى، التي تتميّز بها الحروف ، من شدة ورخاوة وإطباق ...إلخ . لأنها لا تعترض بسد أو تضييق في الجهاز الصوتي يمكن أن يعطيها لونا صوتيا معينا .

ولما كانت الحركة لا توجد إلا عند وجود الحرف [01] ، وهو كالمحل لها وهي كالعرض فيه [16] على اعتبار أنه أصل في الموقع وهي فرع . فإن الحرف يؤثر في الحركة ، بإكسابها بعضا من صفاته . مما يؤدي إلى اختلاف أدائها باختلاف الحروف .وإن كانت د وما واحدة من الناحية الوظيفية .

فإذا جاءت الفتحة ، أو الكسرة ، أو الضمة ، بعد حرف من حروف الاستعلاء (ص، ض، ط، ظ، ع، خ، ق). أو جاءت بعد حرف الراء . فإن اللسان يرتفع معها ارتفاعه الخفيف بمؤخرته، وهو ما يكسبها صفة التفخيم [10] فنسمع صوت الفتحة ، أو الـ كسرة ، أو الضمة في قولنا : صام ، يصوم، صياما ، مفخما . وهو الصوت الذي يختلف عن صوت هذه الحركات، إذا جاءت بعد الحروف المستفلة ، والذي نسمعه مرققا نحو : دام ، يدوم ، ديار .

فالذي أكسب الحركات هنا صفة التفخيم ، أو صفة الترقيق هو الحرف . إذ لا يمكن الخروج من مفخم (حرف)، إلى مرقق (حركة)،مباشرة ودون فاصل . بل لابد من الاستواء والتماثل في الصفة. اقتضى الأمر استعارتها كما في هذه الحالة .والتفسير الفيزيولوجي لهذه الظاهرة هو ما يطلق عليه مصطلح :<< الاجترار(autistique) [39] . وهو استمرار الجهاز الصوتي في وضعية التفخيم ، أو في وضعية الترقيق ، في نفس الوقت الذي يتم فيه إنتاج الحركة .

وهذا تعليل آخر يمكن إضافته إلى تعليل ابن جني ، في أن الحركة تأتي بعد الحرف لا قبله ولا معه ، إذ أنه لو أمكننا تحقيق الحركة دون تحقيق الحرف (وقوع الحركة قبل الحرف) ، لما اكتسبت الحركة هنا صفة التفخيم أو صفة الترقيق .

خلاصة

1. تشكل الحركات أو الصوائت عنصرا أساسيا في بنية الكلمة المفردة ، فبمقابل الحروف الصوامت التي تعتبر الوحدات الأساسية في بنية الكلمة المفردة ، فإن الصوائت تقوم بدور كبير في هذه البنية وهذه الحركات بنوعيها الصرفي والإعرابي ضرورة لابد منها . إذ تضطلع- بالإضافة إلى الوظيفة النحوية – بالوظيفة الصوتية .

2. تتمثل التفاعلات بين الوحدات الصوتية المشكلة للكلمة المفردة في شكلين : الشكل الأول يكون بين الحركات أنفسها (بين حركة قصيرة وحركة قصيرة أو بين حركة قصيرة وحركة

طويلة) ما ينتج عنه عدة ظواهر صرفية كالإمالة والإعلال . أما الشكل الثاني فيكون بين الحركات والحروف الصوامت وهو ما ينتج عنه حركة المناسبة وأشكال تخفيف الهمزة .

3. قد تؤثر الحركة في الحرف كتخفيف الهمزة مثلا ، حيث تخفف في جميع الأحوال بحسب طبيعة حركتها أو حـ ركة الحرف السابق لها مباشرة . وقد يؤثر الحرف في الحركة كإيثار حروف الحلق للفتحة مثلا .

4. التفاعلات الصوتية بين الحركات تؤدي إلى تفاعلات صوتية بين الحروف . فإذا حدث تغير صوتي في الحركات ، فإنه يكون كذلك في الحروف (خاصة حروف العلة) ، ومن ذلك إمالة الألف مثلا وعليه فإن مد التفاعل قد ينشر في جميع أطراف البنية . وأكثر من هذا قد ينتقل إلى بنية مجاورة .

الخاتمة

من خلال دراستنا المتواضعة لهذا الموضوع ، الموسوم بـــ : الانسجام الصوتي في بنية مفردة اللسان العربي، وأثره في الاقتصاد اللغوي . وعند وقوفنا عند أهم نقاط الموضوع تبيّن لنا أنّ اللسان العربي في أصله مهيأ للاستعمال في إطار اقتصادي . بفضل خصوصيات نظامه التي تؤهله لذلك .

والاقتصاد في اللغة يمس جميع مستوياتها . فيكون في التراكيب بأشكال عدة ، أهمها الحذف الذي يتم في إطار نظامي للحفاظ على ا ستواء الدلالة وتمامها . كما يكون في البنية المفردة بسهولة توظيفها في العملية التواصلية عن طريق انتظامها في بنى خاصة من جهة . ومن جهة أخرى بسهولة أدائها لانسجام وحدات بنائها صوتيا وعدم تنافرها . ذلك أن عدم انسجام اللفظة المفردة صوتيا يجعلها مستعصية على الأداء .

ولهذا فإنّ خصائص النظام اللغوي تسمح بحل هذا الاستعصاء الأدائى عن طريق آليات معينة : حذف ، استبدال ، تعويض ...إلخ . فهو قابل للتكيّف مع جميع المشكلات الأدائية الممكنة وتقديم الحلول البديلة .

وعليه فإنّ الظواهر الصوتية السياقية إعلال ، إبدال ، إدغ ام ، إمالة ...إلخ . جاءت لتحل مشكل الأداء كلما حصل تعارض بين قواعد النظام اللغوي ومطالب السياق ، وهو ما لاحظناه في الفصلين الثالث والرابع ، في ظاهرتي التقريب والتبعيد الصوتيين ، إذ أن حروف المباني في البنية المفردة لا تكاد تستقر على حال ، دون أن يحدث بينها وبين ما جاورها من حروف تفاعل صوتي إما بالتأثر أو بالتأثير . وهو الأمر نفسه في الحركات لما لها من أثر كبير ومباشر في انسجام اللفظة صوتيا أو عدم انسجامها . إذ لا يمكن حصر وظيفتها في الجانب النحوي بتحديد دلالة الكلمة أو وظيفتها ، أو في الجانب الصرفي بتنويع ا لصيغ ومن ثم الدلالة . بل تتجاوز هذا إلى مساهمتها في جعل البنية الصوتية المفردة بنية منسجمة متسقة . إما بتفاعلها فيما بينها أنفسها . أو فيما بينها وبين حروف المباني تأثرا وتأثيرا .

فنظام التعديلات الذي يمتلكه اللسان العربي بغية تسهيل الأداء، من خلال ضبط بـ نية اللفظة المفردة صوتيا، على نحو يتوافق وجهد الإنسان المبذول ومقدرته على ذلك . هو الذي يجعل من الممارسة اللغوية ممارسة اقتصادية بتحقيق حد أعلى من الأثر بحد أدنى من الجهد وهذا مبدأ هام جدا لديمومة اللغة واستمراريتها وأداء وظيفتها الإبلاغية على أحسن وجه . إذ أنّ الصراع القائم اليوم بين اللغات العالمية بمحاولة كل واحدة منها استغلال أكبر حيّز ممكن من مستعمليها . يعتمد في جانب كبير على هذا المنطلق، على اعتبار أنّ الجانب الاقتصادي في اللغة له دور كبير وفاعل في الصمود والمواجهة.

وأخيرا لا أدعى أنّ ما دونته بين ثنايا هذا البحث يعتبر شيئا جديدا لم يأت به الأوائل بقدر ما أعتبره محاولة فهم وخلاصة قراءة لجزء قليل من كثير متقدما باعتذاري المسبق إلى أساتذتي الأفاضل عن كل نقص في الموضوع . وإن كان ذاك دون تقصير مني أو ادخار للجهد . متقدما إلى أستاذي المشرف، الدكتور عمار ساسي بخالص شكري وتقديري ....وأسأل الله التوفيق والسداد

قائمة المراجع

01أبو الفتح عثمان ابن جني " الخصائص" ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ط2.(دون سنة نشر)
ج1. 28- 151، ج2. 111-366 ، ج3. 139.

02. فلوريان كولماس ." اللغة والاقتصاد ". ترجمة : أحمد عوض . سلسلة عالم المعرفة . عدد 263 الكويت .(دون سنة نشر) . 305-323.

03. مسعود جبران . "معجم الرائد" . ط4 . . دار العلم للملايين بيروت لبنان (1981) .259.

04. أبو الحسن حازم القرطاجني . "منهاج البلغاء و سراج الأدباء "(دون سنة نشر) .54-224.

05. عبد الواحد حسن الشيخ ." التنافر الصوتي والظواهر السياقية "مطبعة الإشعاع الفني ط 1 مصر.(1999) .**10**.

06. جلال الدين السيوطي المزهر في علوم اللغة وأنواعها " . شرحه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد الفضل إبرا هيم. دار الجيل بيروت لبنان .(دون تاريخ الطبع). 74-272.

07. فخر الدين قباوة الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد " . الشركة المصرية العالمية للنشر مصر.(2001) 09-283.

08. محمد مبارك ." فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد)" ط2 . دار الفكر الحديث لبنان .(1964).65-270 .

09. إبراهيم أنيس ." الأصوات اللغوية ".طالمكتبة الأنجلو مصرية ، مصر .(1995) .17 - 235.

10. محمد الأنطاكي المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها " . دار الشروق العربي . بيروت . (دون سنة نشر) 22-128.

11. آمنة بن مالك " مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي (دراسسة وتقويم) ". أطروحة دكتوراه . معهد اللغة العربية . جامعة الجزائر . (1987) 410-440.

12ابن منظور ط لسان العرب " . ط3 . دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان . (دون سنة نشر) ج1 .180-440. ج2. 54 . ج9. 367. . ج13. 21.

13. عبد الرحمان الحاج صالح . مجلة اللسانيات . معهد الدراسات الصوتية . الجزائر . 10- 20 .

14.عصام نور الدي ن ."علم الأصوات اللغوية " . 01. .دار الفكر اللبناني .(1992)272 -273 .

15. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد " جمهرة اللغة ". حققه وقدمه زمزي منير بعلبكي ط 1 . دار العلم للملايين بيروت لبنان (1958) 46- 51.

16. أبو الفتح عثمان ابن جني "سر صناعة الإعراب " تحقيق حسن الهنداوي . ط1 . دار القلم دمشق سوريا.(1985) .06-816.

17. القرآن الكريم : برواية حفص . الطبعة السادسة. دار الفجر الإسلامي/ لبنان.(1404) هـ

18. طاهر سليمان حمودة " ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي " الدار الجامعية للطباعة والنشر . القاهرة مصر (1999).100-293.

19. عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز" ..المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية . الرغاية الجزائر (1991) .149-151.

20. محمد الحباس " دراسسة تطور المفردات العربية من خلال كتب اللحن ". رسالة ماجستير. معهد اللغة العربية وآدابها جامعة الجزائر . (1983) 161-168.

21. عمار ساسي " اللسان العربي وقضايا العصر (رؤية علمية في : الفهم ، المنهج ، الخصائص ، التعليم ، التحليل)" دار المعارف للإنتاج . . بوفاريك الجزائر (2001) .48-49.

22. أبو علي (ابن سينا) " أسباب حدوث الحروف " تحقيق محمد حسن الطيان ، يحي مير علي . مجمع اللغة العربية . مصر. (دون سنة الطبع). 01-20.

23. رمضان عبد التوا بلمدّخل إلى علم اللغو ومناهج البحث اللغوي " . ط2 . مكتبة الخانجي مصر(1985) 22 -93.

24. تمام حسان " مناهج البحث في اللغة" . مكتبة الأنجلو مصرية مصر. (1955). 64 – 65 .

25. مصطفى آكرور " حلية التلاوة" . ط1. دار نجيب . الأبيار . الجزائر (1994). 42.

26. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد " كتاب العين " تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .(دون سنة طبع ولا دار نشر). 57-58.

27. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) " الكتاب ". تحقيق محمد عبد السلام هارون . ط2 :. مكتبة الخانجي . مصر .(1982) ج4. 46-478.

28ابن علي بن يعيش " شرح المفصل" . عالم الكتب بيروت . (دون سنة طبع). **09- 199**.

29. أبو الحسن محمد بن محمد الدمشقي (ابن الجزري)"النشر في القراءات العشر ." ط1 .المكتبة التجارية الكبرى . مصر.(دون تاريخ الطبع).214.

30أبو يعقوب يوسف بـ ن أبي بكر بن علي (السكاكي) "مفتاح العلوم" . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . 05.

31. عبد القادر حديدي " البنية الصوتية للكلمة العربية". 18 .

32.عبد الصابور شاهينأثر" القراءات في الأصوات والنحو العربي " . ط1. مطبعة المدني . القاهرة مصر .(1987) 199- 238.

33.عبد الصابور شاهين "المنهج الصوتي للبنية العربية " . (رؤية جديدة في الصرف العربي) مؤسسة الرسالة بيروت(1980) . 27- 28.

34. خولة طالب الإبراهيمي " مبادئ في اللسانيات " دار القصبة للنشر . الجزائر (2000) . 59- 60

35. صبحي صالح "دراسات في فقه اللغة" . مكتبة الخانجي .مصر .(ون سنة طبع) .282- 283.

36. رضي الدين الأستراباذي " شرح شافية ابن الحاجب " تحقيق محمد نور الحسن وزملائه :41. أبو علي الفارسي : التكملة : تحقيق حسن الشاذلي فرهود .ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر .(1984) ج3. 30- 309.

37.رمضان عبد التواب " لحن العامة والتطور اللغوي " . مكتبة الخانجي .مصر . (دون سنة طبع) .37- 38.

38. أحمد مختار عمرالبحث اللغوي عند العرب " ط6.. عالم الكتب القاهرة (1988). 106- 107 .

39. عبد الفتاح إبراهيم "المدخل إلى الصوتيات " . دار الجنوب للنشر . تونس . (ون سنة الطبع). 162- 177.

40. الصبان "شرح حاشية الصبان " . على شرح الأشموني ومعه الشواهد للعيني . ط1 دار الفكر بيروت لبنان(1999).1870-1890 .

41. أبو علي الفارسط" التكملة" . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر (1984) . 34- 273.

42.حازم علي كمال الدين دراسة في علم الأصوات " . مكتبة الآداب. القاهرة مصر (1999) . 110-111.

43. أحمد مختار عمر " دراسة في الصوت اللغوي" . دار عالم الفكر(' 1991) . 284- 285.

44. رمضان عبد التواب التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه " . ط1. مكتبة الخانجي . القاهرة (1983) . 25-92.

45. عبده الراجحي " التطبيق الصرفي" . دار النهضة العربية بيروت لبنان (1973) .164-194.

46. أحمد الحملاوي شذا العرف في فن الصرف " . ط1. مؤسسة الرسالة . لبنان (2003) . 53- 111.

47. عمر بن أبي حفصفتح اللطيف في التصريف على البسط والـ تعريف" . ديوان المطبوعات الجامعية ط1 الجزائر . (1991) 314- 320 .

48. أحمد عبد المجيد هريدي " حذف تاء تتفعل وتتفاعل في القرآن الكريم ". دراسة صوتية صرفية مكتبة الخانجي . القاهرة .(1998) . 04- 25 .

49. محمود السعران " علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)" . دار الفكر العربي مصر . (دون سنة نشر). 148 – 149.

50. محمد كمال بشر " علم الأصوات دار غريب للطباعة والنشر القاهرة .(2000) . 423-424.

51. مقالات . الملتقى الوطني الثاني ." الصوتيات بين التراث و الحداثة . جامعة البليدة . افريل (2002)

52.عبد القادر مـ رغي خليل " المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر" . منشورات جامعة مؤتة الأردن. (1993) . 144 -188 .

53. حسن ظاظا " كلام العرب (من قضايا اللغة العربية)" . ط1976 . دار النهضة العربية بيروت لبنان . 10 – 20

54. البدراوي زهران الأصوات اللغوية وعيوب النطق " . ط1 . دار المعارف . القاهرة . (1994) 129 – 138.

55. أبو الفتح عثمان ابن جني " المنصف" تحقيق إبراهيم مصطفى ، عبد الله الأمني وزارة المعارف مصر(1954). ج1. 42-43.

56. أبو علي الفارسي " الحجة في علل القراءات السبع " تحقيق علي النجدي ناصف وزملائه .(دون سنة طبع .ولا دار نشر). 302 – 303 .

57. جان كانتينو دّروس في علم الأصوات اللغوية " . ترجمة : صالح القرمادي . نشريات مركز الدراسسات والبحوث الاقتصادية . تونس(1966). 164 – 165 .

58. إبراهيم أنيس " اللهجات العربية " المكتبة الأنجلو مصرية . القاهرة (1995) . 98 – 99 .

59. عبد الحميد السيد " دراسات في اللسانيات العربية " . دار الحامد للنشر . عمان الأردن .(2003) 16 – 18

60. عبد القادر جليل " الأصوات اللغوية " دار الصفاء للنشر والتوزيع الأردن . (1998). 269 - 270 .

61. عبد الصابور شاهينالقرّاءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث " . مكتبة الخانجي القاهرة.(دون سنة طبع .ولا دار نشر). 289- 291 .

62. إبراهيم أنيس" من أسرار اللغة العربية " المكتبة الأنجلو مصرية .القاهرة ، مصر (1994) .50-54.